561
٥٦١
دار النحاس
HARLEQUIN
قلوب عبير

www.elromancia.com
مرمورية

تأثير العرس

صوفي ويستون

تأثير العرس

صوفي ويستون

«ليس عليك اي خطر مني. فأنا لا أفكر بالزواج.»
كان لهذه الكلمات نغمات الموسيقى في أذني «بيني». ألم تكن عاهدت نفسها ذات يوم، بالا تسمح لنفسها بالوقوع في الحب مرة أخرى؟ وكون زولتان غارد وسيماً للغاية لم يكن سبباً يجعلها تسلمه قلبها وهو الذي لم تعرفه إلا منذ فترة وجيزة، هذا إلى أن لديها من الأمور الهامة ما يشغلها عن ذلك... مثل عرس أختها. لقد صممت بيني على أن تقاوم جاذبية زولتان... لكن هل تراها تواجه معركة خاسرة وهي التي سلمها اهلها إليه من باب التوسط في زواج قد يحصل بينهما أو حب لا شفاء منه؟

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس: ٢ دينار

«إنني لست ضد العلاقات العاطفية، ولكنني فقط لا احب استعجالها.»

نظرت بيني في عينيه، فرأت السخرية تلتمع فيهما فقالت: «حسناً، ان هذا يستبعدني، أليس كذلك؟»

فقال: «ليس بالضرورة، اظن ان عليك ان تدرسي مشاعرك جيداً.»

ابتلعت بيني ريقها وهي تشعر بخفقات قلبها تتسارع: «وما هي تلك المشاعر؟»

«الجانبية.. الانفعال...»

www.riwaya.com

صوفي ويستون

صوفي ويستون ولدت في لندن، محبة للرحلات بطبيعتها، ابتدأت بالكتابة حين كانت في الخامسة، كتبت اولى رواياتها عندما كانت تتعافى من المرض، ظانة ان رحلاتها انتهت، وكانت مخطئة، ولكنها استمتعت بذلك إلى درجة جعلتها تتابع الكتابة، تعيش حالياً في قلب المدينة مع هرتين وشجرة كرز... ولا تنفك عن السفر إلى مختلف انحاء العالم لاستلهام مواضيع لقصصها.

٥٦١

khouloub Abir 561

تأثير العرس

صوفي ويستون

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة. فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه. فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

THE WEDDING EFFECT

Copyright © by Sophie Weston 1994

ISBN 0-263-78932-2

Mills & Boon first edition October 1994

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس ١٩٩٣

تأثير العرس بقلم: صوفي ويستون

ترجمة: بلقيس حومائي

سلسلة قلوب عبير ٥٦١

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات — بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية. يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة. وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة. بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت - لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع: ص.ب: ١١/٩٧١٨ - فاكس: ٧٤٣٦٣١ (٠١) - هاتف: ٧٤٣٦٣٣ - ٧٤٣٦٣٤ (٠١) - ٢١٦٢٩٣ (٠٣)

عزيزي القارىء

يسرنا أن نضم الى سلسلة عبير، سلسلة جديدة بعنوان قلوب عبير. ويهمنا أن ننشر هذه السلسلة بغية ارواء شغفك للقراءة وحبك لمطالعة أدب بات الأدب الأكثر رواجاً في عالم اليوم.

ونحن، إذ ننشر اليوم هذه السلسلة الجديدة، نعدك دوماً وكسابق عهدنا، بانتظام اصداراتنا من قلوب عبير بمعدل ٥ روايات شهرياً لتكون سلواك في أوقات متعتك الخاصة.

كما نعدك ببذل الجهد المتواصل من أجل إطلاعك دائماً باللغة العربية على أحدث ما يصدر في هذه السلسلة العالمية وعن لغة الأصل: الانكليزية.

إن رفع وتيرة الاصدار والزيادة في تنويع المواضيع وألوانها إنما هما هاجسنا الدائم.

ولا تنس يا عزيزي القارىء أن طبعة قلوب عبير هذه التي أردناها لائقة بك وبذوقك، إنما هي النسخة الأصلية.

وقوفك إلى جانبنا، إنما يعبر عن اخلاصك لنفسك وذوقك وحرصاً على وقتك الذي نوظفه لك في مجال أدبي ثقافي، مفيد وممتع.

إن وقوفك معنا يوفر لنا الدعم والمناخ اللذين لا بد منهما للمضي قدماً في رحلة العطاء الدائم والتجديد والتنويع...

الفصل الأول

كان المطر ينهمر بشدة عندما ركضت بيني على الأسفلت نحو الباب المكتوب فوقه إدارة المستشفى، كان المطر يقطر من خصلات شعرها من تحت الوشاح الذي تلف به شعرها، فيسيل على رقبتها اثناء ركضها في الممر.

فكرت بأسى بأنه يوم مرهق آخر، يوم آخر عليها ان تقوم فيه بعمل ست عشرة ساعة في ثماني ساعات، وان تجعل الألف جنيه تقوم بعمل الفين، انه يوم آخر لن تجد فيه وقتاً للرسم.

كان الهاتف قد اخذ يرن في مكتبها، فالتقطت السماعة تقول: «إدارة مستشفى سانت آن.»

«السيدة داين؟»

كانت هذه كارين هاريس، سكرتيرة اكثر مستشاري المستشفى حدة وسرعة غضب، وكانت بيني تعلم، بالتجربة ان هذه المكالمة ستكون عبارة عن سلسلة من الشكاوى، وهذا سيأخذ منها وقتاً طويلاً، ولهذا قالت لها: «سأتصل بك فيما بعد يا كارين، لأن لدي مخابرة في الهاتف الآخر.»

أقفلت الخط ثم رفعت السماعة الأخرى: «مستشفى سانت...»

كانت المخابرة هذه المرة تتعلق بمسؤول في مستشفى آخر في المنطقة، سجلت شكواه ثم وعدته، هو الآخر،

بالاتصال به فيما بعد، ولم يشأ هو ان يطيل حديثه على الهاتف اكثر منها، حدثت نفسها بأن هذه هي المخابرة الأخيرة، ثم خلعت معطفها الواقي من المطر، فتصاعدت رائحته القوية.

تصاعد رنين الهاتف مرة أخرى، فالتقطت بيني الهاتف: «بيني حبيبتي، ها انت ذي أخيراً، انني احاول الاتصال ببيتك منذ ساعات...»

جعل هذا الصوت غير العادي، الرجال يغمرهم الاعجاب في كل أنحاء العالم، وذلك على مدى ثلاثين عاماً، وكان له نفس التأثير على بيني ولو ان سبب ذلك مختلف.

«مرحباً يا والدتي، لم اكن اتوقع منك اتصالاً.»

قالت لورا برينكمان ضاحكة: «لا تقولي لي انه ما كان لي ان اتصل بك إلى العمل.»

حتى في الهاتف في هذا اليوم الممطر، حيث لم يعد احد من المستمعين يهتم بهذا الصوت سوى ابنتها الكبرى، كان جماله ملموساً، كما رأت بيني وقد تملكها اليأس، لقد كان من السهل رؤية كيف تمكنت والدتها من الحصول على ما تريده في الحياة... ولم يكن لدى ابنتها من المناعة ضد تلك الجاذبية اكثر مما لدى أي شخص آخر.

قالت الوالدة: «لقد حاولت الاتصال بك إلى البيت، ولكنني لم اسمع سوى صوت المسجل الفظيع.»

«كان بإمكانك ان تتركي لي خبراً، فهذا هو الهدف من ذلك الشيء.»

لم تهتم لورا بهذا الاقتراح، وقالت: «انك تعرفين انني اكره ذلك، هذا إلى انني أريد ان اتحدث اليك يا حبيبتي.»

غاص قلب بيني، وتأكدت شكوكها، إذ ان ذلك يعني ان والدتها تريد منها ان تفعل شيئاً، ولم تشأ هي ان تغامر بالرفض، فلو كانت قد تركت رسالة في الاسطوانة، لكان لدى بيني ما يكفي من الوقت لاعداد دفاعاتها.

فقالت: «انني مشغولة جداً يا والدتي.»

ضحكت الوالدة: «لقد ظننت ذلك، يا حبيبتي، فنحن لم نعد نراك هذه الأيام.»

لم تكن هذه شكوى جديدة والأكثر من ذلك ان والدتها لورا كانت تدرك ذلك.

كانت لورا، وهي المتفائلة على الدوام، تعيش في عالم من أشعة الشمس حيث كل شخص يحب الآخر، كما ان بناتها كن رائعات الجمال وازواجهن شغوفون بهن، ليس فقط ان والدتها لم تكن تأتي قط على ذكر احداث سيئة مرت بها، كما اخذت بيني تفكر، وانما لم تسمح لمثل تلك الأحداث بأن تحصل، وإذا ما حدث أي شيء سيىء لأحد تحبه، فلورا برينكمان تغير الأمور كلياً وبمرح زائد.

كانت بيني شغوفاً بوالدتها، ولكن البقاء طويلاً في صحبتها الحلوة جعلها تشعر بأنها لن تستطيع العودة إلى العالم الحقيقي مرة أخرى، لم تكن عادة، تفكر كثيراً في الماضي، ولكنها بعد عطلة اسبوعية طويلة في شروبشاير، تجد عادة نفسها تعود بسيارتها إلى لندن وهي تستعيد، عابسة احداث فترة زواجها البغيضة، هذا إذا اخذت تعيش في عالم والدتها الخيالي، فهذا يجعل من عودة الاتحاد العائلي شيئاً مجهداً.

ذلك طبعاً ما كانت تريده لورا، فقد كانت ابنتها الصغرى

في طريق الزواج، وبين يدي لورا تتحول حفلة الزفاف إلى ما يناسب الأميرات، وفي غمرة السعادة التي ستكتنف لورا، سترغب في ان تكون بناتها جميعهن حولها.

«والدتي انني غارقة في العمل هنا بحيث لا يمكنني الحصول على وقت فراغ.»

«المستشفى سيتفهم الأمر.» قالت الوالدة ذلك تطمئنها وكأنها مجرد موظفة في مكتب: «اخبريهم بأن والدتك بحاجة إليك.»

اغمضت بيني عينيها وهي تتمنى لو تصرخ، ولكنها تنفست بعمق تهدىء بذلك اعصابها وهي تذكر نفسها بأن من العبث مناقشة، والدتها بالمنطق، والأفضل ان تتمسك بالحزم ولا تنجر إلى الجدل.

قالت بحزم: «انه عرس سيليا... فهي التي تساعدك.»

لكن سيليا كانت هي المشكلة، هذه الفتاة ذات البشرة والعينين الرائعتين والسجايا البالغة الحلاوة، سيليا هذه لم تكن لتؤتمن في الدخول إلى متجر دون ان تضيع، فترتيب أمر حفلة زفاف، ولو كان لها هي، هو فوق مقدرتها.

قالت الوالدة: «ان سيليا ستسافر إلى جمايكا في رحلة عرض أزياء فهي لن تستطيع مساعدتي حتى ولو شاءت.»

إذن فقد كان الأمر يتعلق بترتيبات الزفاف، الوالدة تريد المساعدة ولا ترى سبباً يمنع ابنتها الكبرى من تقديم هذا لها، اجفلت بيني وهي ترى الضوء يخفق على الهاتف، منبئاً بمخابرة، فقالت تحدث والدتها: «ما الذي تريدينه بالضبط يا والدتي، ان هناك اتصالاً الآن على الخط الآخر، فأسرعي.»

أدركت لورا العجلة في صوت بيني، فقالت: «اريدك ان

تكوني في البيت في الأسبوع الذي يسبق حفلة الزفاف، فالأشياء تتكدس وأنا وحدي، ووالدك لن يعود إلا في الليلة السابقة للزفاف.»

كانت هناك مجموعة من الأخبار المعقدة في حديث والدتها، لم تشأ بيني التفكير فيها حالياً، فتح الباب وأطلت منه ممرضة الطوارىء، أشارت اليها بيني بالدخول. دخلت الممرضة سوزان إلى حيث وقفت بجانب مكتب هناك واخذت ترفع عن رأسها قبعة التمريض، بينما كانت بيني تقول لوالدتها: «ليس الأسبوع بأكمله، ان بإمكاني ان آخذ مسبقاً عطلتي عن اسبوعين أرتبهما قبل الزفاف، وأربعة ايام هي كافية تماماً.»

كان هذا صحيحاً تماماً، ففي الخمس سنوات الماضية المؤلمة اكتسبت كفاءة عملية لم تكن تحلم بها.

قالت والدتها فجأة: «هل حضور هذا الزفاف صعب بالنسبة اليك، يا حبيبتي؟»

أجفلت بيني، ولكنها قالت بثبات: «ذلك بالنسبة لمواعيد عملي فقط.»

فقالت الوالدة: «انني اعلم ان هذا لا بد ان يذكرك.»

أجابت بيأس: «والدتي عليّ ان اذهب، فأنا مشغولة جداً.»

«ثمة أمر واحد فقط يا حبيبتي، ان معلم ميتشيل السابق، سيصل يوم الجمعة، وطبعاً انا سأكون مع البنات في الخارج، سيليا ووصيفات العروس، والعزيز ميتشيل سيكون مازال في لندن وهكذا سيكون عليك ان تحضري الاستاذ وتعتني به، حسناً، عليّ ان لا اطيل الكلام يا حبيبتي، فأنا اعرف كم انت مشغولة.»

اقفلت الخط، فوضعت بيني السماعة ببطء وألقت رأسها إلى الخلف وهي تتأوه، فقالت سوزان فلين ضاحكة: «هل هي والدتك؟»

هزت بيني رأسها بيأس: «اترين كثيراً من الأمهات في قسم الطوارىء، يا سوزان؟»

وقفت ثم اخذت تنفض معطفها الواقي من المطر، فخرجت سوزان من وراء مكتبها ثم تناولته منها، واخذت تسوي من شانه بأصابع مدربة، فقد كان لديها ثلاثة ابناء وتعرف كيف تنفض الثياب جيداً.

قالت لها: «ماذا تريد منك؟ نصف حياتك كما يبدو.»

اخذت بيني معطفها وعلقته على مشجب وراء الباب: «كلا، فالأمر ليس سيئاً إلى هذا الحد، لحسن الحظ، رغم انه كان كذلك مرة...»

وسكتت شاعرة بالضيق لاسترسالها في الكلام، ثم قالت بابتسامة جانبية: «لا تهتمي بما اقول، يا سوزان، ذلك انني استيقظت متأخرة فلم استطع انهاء رسم تخطيطي، ما تكدرت له جداً، فالأمهات لا يمكن ان يكن غير منطقيات، ولكنني انا التي اجعل من الحبة قبة.»

تخللت باصابعها خصلات شعرها الشقراء غير المنظمة، عابسة إزاء البلل في رقبتها، فأومأت سوزان وهي تقول بدهاء: «ليس من عادتك جعل الحبة قبة، ما الذي حدث؟ أهي حفلة العرس الفخمة؟» فقد كانت سوزان تعرف بيني اكثر من معظم الناس.

عبست بيني وهي تقول: «هذا من جهة، كما اظن، ومن جهة أخرى بالنسبة إلى والدي، إذ يبدو انه غير متعاون تماماً.»

فقالت: «ذلك من تأثير العرس.»

«ماذا؟»

«تأثير العرس، المفروض ان يكون ذلك رائعاً تماماً، ولكن حسب خبرتي كل ما هناك هو جعل الناس يتقاتلون، إذ يبدو انه يظهر إلى السطح كل المساوىء التي تحفل بها حياة الناس.»

رفعت بيني رأسها عن الأوراق التي كانت تقلبها على المكتب، ثم قالت مفكرة: «اظن الأمر بالعكس، فالزوجان السعيدان ستغمرهما سعادة خرافية.» في هذه الأثناء نزلت قطرة مطر من خصلة من شعرها على الورق، وسرعان ما اخذ حبر الكتابة يبهت، فتملك بيني الغيظ، واخذت تعتصر خصلة شعرها تلك متمتمة: «تباً لذلك.» ثم خاطبت سوزان بقولها: «انني اعرف ان الوقت مازال مبكراً، ولكنني أريد قهوة، هل تريدين انت أيضاً؟»

حملقت سوزان فيها قائلة: «ان ذلك متأخر بالنسبة إليّ وليس مبكراً، ولكنك لم تطلبي. سأحضرها.»

كان في نهاية الممر ماكينة لصنع القهوة، وعندما عادت سوزان بكوبين من القهوة السوداء من دون سكر، كانت بيني قد نظمت مكتبها، وأدارت جهازها الكمبيوتر، حيث اخذت تنظر على شاشته إلى التقرير اليومي، وكانت ما تزال واقفة.

قالت سوزان وهي تناولها فنجانها: «يوم سيء؟»

«شكراً، انه ليس أسوأ من العادة.»

ورشفت بيني القهوة، ثم تأوهت برضى، وهي تقول: «شكراً لك.» ونظرت إلى دفتر الملاحظات، ثم عبست: «بل

هو أسوأ من العادة، فقد اتصلت كارين، يبدو ان الدكتور بيري قد عاد إلى القتال، لقد فقد ذلك الرجل رسالته في الحياة عندما اصبح طبيباً، كان بإمكانه ان يجعل من امرأة ما مديرة منزل رائعة.»

فقهقهت سوزان ضاحكة: «يبدو انه ثائر الطبع، أليس كذلك؟»

حدقت بيني في دفتر الملاحظات: «بعض المستشارين بحاجة إلى من يهتم بهم شخصياً، فالدكتور بيري يريد المزيد من كناسي السجاد، وفي آخر مرة استدعاني فيها اليه، طلب مني ان أغسل ستائر غرفة الاجتماعات.»

بدا الهزل على وجه سوزان: «ربما كان ذلك عذراً لكي يستدعيك إلى غرفته وحدك.»

قالت بيني بهدوء: «الأكثر احتمالاً هو انه ظنني سآخذها إلى بيتي وأغسلها بنفسي.»

«هل هذه وظيفتك.»

كانت بيني تهتز من الضحك وهي تقول: «يظن المستشارون ان وظيفتي هي ان اجعلهم سعداء، ويظهر ان كل شخص آخر يظنني الشخص الوحيد الذي يمكنه التعامل مع الدكتور بيري... بما فيهم هو نفسه، ولهذا فهو يستهدفني انا في كل مرة يظن فيها ان لا احد يهتم بأمره بما فيه الكفاية.»

قالت سوزان وهي ترشف قهوتها: «هذا لأنك لا تخافين منه، كما ان ركبتيك لا تتخلخلان كلما ابتسم لك.» نظرت إلى صديقتها مفكرة: «ولكن لماذا لا يحدث لك ذلك؟ ان معظم الممرضات يحصل لهن هذا.»

«انني امرأة متزوجة كبيرة السن فطحاء القدمين، بينما

أنت شقراء خضراء العينين، مستقلة، غير مرتبطة. فلماذا تبقين صامدة كجبل الجليد؟ ان ذلك خلاف للطبيعة.»

هزت بيني كتفيها: «من المؤكد ان ذلك يعود إلى المزاج وطبيعة الشخص.»

نظرت اليها سوزان غير مصدقة: «اتريدين ان تقولي انك مكرسة نفسك للعزوبة؟»

احمر وجه بيني ونظرت بعيداً.

فعادت سوزان تقول: «لا اصدقك.»

ضحكت بيني رغماً عنها لقناعة صديقتها هذه: «لِمَ لا؟»

«حسناً، لانك سبق وتزوجت مرة.»

فقالت بيني بهدوء: «ربما كان ذلك هو السبب.»

اخذت سوزان تحدّق فيها وكأنها لم ترها من قبل، ثم قالت ببطء: «عند أول قدومك إلى هذا المستشفى، قرنت الأقاويل، اسمك باسم كل رجل أعزب هنا، لقد تخلوا الآن عن ذلك، طبعاً، ولكننا اخذنا نتساءل عن السبب، هل هي ذات مناعة؟ وإذا كان الأمر كذلك، لماذا؟»

اخذت بيني تعبث بفنجان القهوة بين يديها وقد لاحت على شفتيها ابتسامة غريبة.

لم تحاول بيني قط ان تخفي حقيقة انها كانت مطلقة، لقد كانت خلعت خاتم الزواج ودعت نفسها آنسة ولكن لم يكن ثمة معنى في ان تغير اسمها، فهناك أناس كثيرون يعرفونها بهذا الاسم، اناس كثيرون قد علموا بقصتها مع ألين انما ليس كل شيء عنه، طبعاً.

ارتجفت بشكل لا اداري وهي تفكر في كل هذا.

لم يره احد قط في المستشفى. ذلك لأنها كانت التحقت

بعملها هذا في مستشفى سانت آن بعد تلك الدوامة الهائلة، فقد كانت حيث لا يعرفها فيه احد، وقد ثار اهلها غضباً لتركها مهنتها، ولكن كان عليها ان تبتعد عن كلية الفنون حيث جميعهم كانوا يعرفون كل شيء عن ألين... وحيث يمكنهم معرفة الكثير عن زواجها التعس.

ثم قالت: «ولماذا تصبح امرأة كانت متزوجة، منيعة، في رأيك؟» سكتت لحظة ثم عادت تقول: «ان العيش معه علمني انني والزواج لن نتفق أبداً.»

رفعت سوزان حاجبيها: «هل ستبقين دون زواج؟ ان عدم الزواج يعني انه لن يكون لديك رجل.»

عندما لم تجب بيني، قالت سوزان متصنعة البراءة: «هل هذا هو السبب في شعورك بالضيق من حضور ذلك العرس؟»

أجفلت بيني: «ومن يقول انني اشعر بالضيق؟»

قالت سوزان باسمة: «ألست كذلك؟»

«ولماذا اكون كذلك؟»

فقالت سوزان وهي تلقي بكوبها البلاستيك الفارغ في سلة المهملات: «ليس هناك سبب، وإنما هو وجه آخر لتأثير العرس.»

اخذت تراقب صديقتها من تحت اهدابها: «ان الأصدقاء والأقارب يقتربون منك ويسألونك، (هل انت التالية؟).»

بدا الفزع على بيني: «انهم لن يفعلوا ذلك، اعني انهم لن يفعلوا كما لو كنت وصيفة للعروس مثلاً أو ما أشبه ذلك.»

قالت سوزان بلهجة تخلي بها نفسها من المسؤولية: «انت اعلم بعادات أسرتك.»

أخذت بيني تتخلل شعرها بأصابعها بضيق وهي تقول:

«نعم، ولكن... اتظنين حقاً انهم قد يفعلون ذلك؟... انني لم اعد شابة صغيرة، ولا بد انهم توقفوا عن التوسط بالزواج، منذ سنوات.»

فقالت سوزان: «الأمهات لا يتوقفن ابداً عن التوسط بزواج بناتهن إلا بعد ان يتم الزواج، ثم يثبت.» واضافت الكلمتين الأخيرتين بعد تفكير.

استقامت بيني في جلستها وقد بدا عليها وكأن صدمة اصابتها، ثم سألت بقنوط: «ولكن، ألا يشكل الطلاق رادعاً لذلك؟»

«بل، على العكس.»

«لا افهم.»

قالت سوزان تفسر لها الأمر: «حسناً، الأمهات والجدات والعمات والخالات يعتبرن الأمر بمثابة تحد، انهن يردن ان يثبتن ان بإمكانهن ان يجدن لك زوجاً افضل من الذي كنت اخترته لنفسك.»

أغمضت بيني عينيها وهي تتمتم: «تعنين انه مناسب اكثر.»

«بالضبط، فهن من وجهة نظرهن، لا يجدن سبباً يمنعك من إعادة تجربة حظك مرة أخرى.» واضافت بمكر: «حتى انه قد يكون هنالك رجل قد اخترنه لك فعلاً، فهكذا يفعلن في أسرتي، على كل حال، فإذا رأيت رجلاً يسير معك إلى حيث يعقد الزواج، أو جالساً بجانبك إلى مائدة العشاء، فحاولي ان تعرفي ان كان متزوجاً، فإذا لم يكن فهن إذن قد وضعن خطتهن لتزويجه في اقرب وقت، منك طبعاً.»

فتحت بيني عينيها: «انك تمزحين.»

أجابت سوزان ببشاشة: «لقد سبق ورأيت حوادث كهذه.»

فحملقت بيني فيها: «اتحبين نشر الكآبة والقنوط؟ تريدين ان تنتقمي بذلك من العالم لساعات وحدتك؟»

هزت سوزان رأسها ضاحكة: «انا لا اقول سوى الحقيقة.»

فقالت بيني: «انني في الواقع غير متحمسة لحضور هذا الزفاف.»

رفعت سوزان حاجبيها دهشة، ولكنها لم تقل شيئاً، كما ان بيني وهي المستغرقة في افكارها، لم تلحظ تأملات صديقتها هذه، بينما هي تقول: «لن يمكنني الارتياح بعد الآن، ذلك ان كل رجل يدخل، سأتساءل ان كان متزوجاً.»

ضحكت سوزان بصوت عالٍ وهي تقول: «هذا سيكون حسناً، من باب التغيير.»

«تغيير ماذا؟»

هزت سوزان رأسها بسخط ساخر: «لو لم احبك لأخرجت عينيك من محجريهما.»

بدت الحيرة على وجه بيني، بينما تنهدت سوزان ثم قالت بصبر مبالغ فيه: «لا يوجد عندنا كثيرات من الشقراوات ذوات الأعين الخضراء، خصوصاً بجمال منظرك، الرجال يلاحظون ذلك، وانت لا تلحظين انهم يلاحظون، وهذا يكفي لأن يدفع الشخص إلى البكاء.»

بدا الضيق على بيني: «انني.. لا أريد علاقة أخرى، يا سوزان، حتى ولو أردت انا ذلك، فأنا غير مناسبة لأمر كهذا.»

لوت بيني شفتيها: «انني اعرف ما اقوله، يا سوزان، ان ما أتمناه فقط هو ان تعرف والدتي ذلك.»

قالت سوزان تنصحها: «حسناً، لا تضيعي طاقتك بمحاربتها.»

«ولكن...»

«تجاهلي والدتك، وجمدي المرشح، على كل حال، لا يمكنها ان تجبركما على الإرتباط، فقط ألقي عليه نظرة مترفعة تري المسكين وقد اخذ يترنح، أو يبحث لنفسه عن وصيفة عروس اكثر عطفاً.» ثم أخذت تضحك.

ضحكت بيني بدورها، وهي تقول: «عليك ان تري وصيفات العروس، انهن جميعاً من المانيكان زميلات سيليا، ليس ثمة واحدة منهن غير مرتبطة، ان أي شخص يلائم مواصفاتهن لن يكون في متناول يد والدتي لكي تختاره لي زوجاً.»

فقالت سوزان: «كفى تحقيراً لنفسك، فقد سبق واخبرتك كم انت رائعة الجمال، هذا إذا لم تجعلي شعرك كذنب الفأر وترتدي معطفاً واقياً من المطر ذا رائحة، ربما كان المرشح للزواج يحب من المرأة الثقافة كما الجمال.»

قالت بيني بحزم: «لا يهمني نوع المرأة التي يحبها، فأنا لن اكون تلك المرأة.» حملقت في صديقتها وهي تقول: «كفى ضحكاً، فليس ثمة فائدة منك على الاطلاق، واظنك اختلقت كل هذه الأقاويل لكي تأتي وتقلقيني لأنك ربما أمضيت ليلة مملة.»

اخذت سوزان تضحك دون ان تنكر ذلك، فرمتها بيني بكوب القهوة البلاستيك الفارغ وهي تقول لها: «اذهبي إلى بيتك وتناولي فطورك بدلاً من شغل النساء البرئيات عن اعمالهن.» ودق جرس الهاتف مرة أخرى، فوضعت يدها

أجابت سوزان ببشاشة: «لقد سبق ورأيت حوادث كهذه.»

فحملقت بيني فيها: «اتحبين نشر الكآبة والقنوط؟ تريدين ان تنتقمي بذلك من العالم لساعات وحدتك؟»

هزت سوزان رأسها ضاحكة: «انا لا اقول سوى الحقيقة.»

فقالت بيني: «انني في الواقع غير متحمسة لحضور هذا الزفاف.»

رفعت سوزان حاجبيها دهشة، ولكنها لم تقل شيئاً، كما ان بيني وهي المستغرقة في افكارها، لم تلحظ تأملات صديقتها هذه، بينما هي تقول: «لن يمكنني الارتياح بعد الآن، ذلك ان كل رجل يدخل، سأتساءل ان كان متزوجاً.»

ضحكت سوزان بصوت عالٍ وهي تقول: «هذا سيكون حسناً، من باب التغيير.»

«تغيير ماذا؟»

هزت سوزان رأسها بسخط ساخر: «لو لم احبك لأخرجت عينيك من محجريهما.»

بدت الحيرة على وجه بيني، بينما تنهدت سوزان ثم قالت بصبر مبالغ فيه: «لا يوجد عندنا كثيرات من الشقراوات ذوات الأعين الخضراء، خصوصاً بجمال منظرك، الرجال يلاحظون ذلك، وانت لا تلحظين انهم يلاحظون، وهذا يكفي لأن يدفع الشخص إلى البكاء.»

بدا الضيق على بيني: «انني.. لا أريد علاقة أخرى، يا سوزان، حتى ولو أردت انا ذلك، فانا غير مناسبة لأمر كهذا.»

لوت بيني شفتيها: «انني اعرف ما اقوله، يا سوزان، ان ما أتمناه فقط هو ان تعرف والدتي ذلك.»

قالت سوزان تنصحها: «حسناً، لا تضيعي طاقتك بمحاربتها.»

«ولكن...»

«تجاهلي والدتك، وجمدي المرشح، على كل حال، لا يمكنها ان تجبركما على الإرتباط، فقط ألقي عليه نظرة مترفعة تري المسكين وقد اخذ يترنح، أو يبحث لنفسه عن وصيفة عروس لكثر عطفاً.» ثم أخذت تضحك.

ضحكت بيني بدورها، وهي تقول: «عليك ان تري وصيفات العروس، انهن جميعاً من المانيكان زميلات سيليا، ليس ثمة واحدة منهن غير مرتبطة، ان أي شخص يلائم مواصفاتهن لن يكون في متناول يد والدتي لكي تختاره لي زوجاً.»

فقالت سوزان: «كفى تحقيراً لنفسك، فقد سبق واخبرتك كم انت رائعة الجمال، هذا إذا لم تجعلي شعرك كذنب الفأر وترتدي معطفاً واقياً من المطر ذا رائحة، ربما كان المرشح للزواج يحب من المرأة الثقافة كما الجمال.»

قالت بيني بحزم: «لا يهمني نوع المرأة التي يحبها، فانا لن اكون تلك المرأة.» حملقت في صديقتها وهي تقول: «كفى ضحكاً، فليس ثمة فائدة منك على الاطلاق، واظنك اختلقت كل هذه الأقاويل لكي تأتي وتقلقيني لأنك ربما أمضيت ليلة مملة.»

اخذت سوزان تضحك دون ان تنكر ذلك، فرمتها بيني بكوب القهوة البلاستيك الفارغ وهي تقول لها: «اذهبي إلى بيتك وتناولي فطورك بدلاً من شغل النساء البرئيات عن اعمالهن.» ودق جرس الهاتف مرة أخرى، فوضعت يدها

عليه عابسة: «أرجو ان لا يكون تأثير العرس الذي تتحدثين عنه، قد ازداد سوءاً، ان برنامج عملي لن يتحمله.»

* * *

تذكرت بيني ذلك الحديث الذي دار بينها وبين سوزان وذلك بعد ستة اسابيع، كانت جالسة في محطة ريفية تنتظر آخر قطار لهذا النهار والذي كان سيحضر فيه الأستاذ غارد، وكان المطر قد عاد إلى الإنهمار وان كان اقل شدة.

اخذت بيني تفكر في برنامج عملها وكيف كان مزدحماً في هذه الأسابيع، ذلك انها منذ اخذت تعمل في لندن، لم تجد والدتها سبباً يمنعها من الإتصال بها هاتفياً لكي تحضر اليها كل ما هو غير موجود من شروبشاير، ونتيجة لذلك، اخذت بيني تمضي اغلب ساعات الغداء تطوف في أنحاء لندن لتأدية مهمات العرس.

لم تجد وقتاً للرسم على الاطلاق، فقد كانت دوماً متعبة، ومشغولة بأعمال والدتها، حسناً، قريباً سينتهي كل هذا.

نظرت إلى ساعتها، لقد تأخر القطار، ولم يكن هذا ذا أهمية حيث لم يكن ثمة عشاء عليها ان تهرع لإعداده، فقد كان الطعام محفوظاً في إناء في الفرن لحين عودتها مع الاستاذ.

كانت والدتها قد قالت لها بمرح: «اطهي له يخنة اللحمة والبصل، فهي رائعة من بين يديك.»

قالت بيني بلهجة تجمع بين التهكم والسخط: «ولكنك تكرهين اليخنة.»

أجابت والدتها: «نعم، ولكنه قد لا يكرهها، فهؤلاء الاساتذة الفقراء يحبون الوجبات الدسمة.»

تمتمت بيني تقول: «حتى اليخنة؟»

قالت الوالدة: «لا تكوني فائقة الحساسية، يا حبيبتي، هل انت ذاهبة لتغيير ملابسك؟»

«لكي اطهي الطعام؟» وكانت السخرية واضحة في هذا السؤال. فهزت لورا كتفيها: «بل لأنك ستذهبين إلى المحطة.»

«لا اظن المسافر القادم سيموت من منظر بنطلوني.»

ترددت لورا، ثم ما لبثت ان هزت كتفيها مرة أخرى، كانت تعلم ان لا فائدة من اقناع بيني بالقيام بشيء لا تريده، واكتفت بإلقاء نظرة ذات معنى على بنطلون بيني الرث اثناء مرورهما، هي وسيليا، من المطبخ في طريقهما إلى السيارة وهما ترفلان بالحرير والروائح العطرية تتصاعد منهما.

تذكرت بيني الآن تلك النظرة، وهي تضحك، فقد اعترفت والدتها بهزيمتها بالنسبة إلى ملابس ابنتها هذه، بينما اعترفت بيني بهزيمتها بالنسبة إلى مسؤوليتها تجاه هذا الزائر المجهول.

لقد حاولت التملص من استقباله، ولكن والدتها أوقفت كل جدال في هذا الشأن، ذلك انه لم تكن في تلك المحطة الريفية سيارات أجرة، كما ان لا احد لديه الوقت لذلك، سواها.

لقد كانت بيني قالت بيأس لشقيقتها: «حتى انني لا اعرف شكله، ألا يمكنك ان تأتي معي على الأقل؟ ويمكنكما بعد ذلك ان تذهبا معاً لتناول العشاء.»

بدت دهشة غامضة على وجه سيليا وهي تجيبها قائلة: «ستقتلني والدتي ان فعلت ذلك، فهي قد رتبت كل أمور هذا المساء، حتى انها هددتني إذا انا تأخرت في الحمام، على

كل حال لا فائدة من الذهاب معك لأنني انا أيضاً لا اعرفه، لا احد يعرفه سوى ميتشيل، فاستعملي الإلهام في تمييزه بين المسافرين.»

سألتها بيني عابسة وهي تفرم البصل فتسيل دموعها: «وكيف؟»

فقالت سيليا ضاحكة: «ابحثي عن شخص يشبه العالم ألبرت اينشتين، فهذا ما اتوقعه، فهو فيلسوف ذو شهرة واسعة، وقد يكون في حوالي التسعين من عمره.»

ها هي ذي الآن، ملتفة بمعطفها تحتمي بذلك من برد المساء القارس، ومازالت رائحة بصل خفيفة في انامِلها، بينما تنتظر رجلاً نابغة كبير السن، وهي تفكر في هذه الأمسية الثقيلة التي يتوجب عليها فيها ان تحتفي به كضيف، ولكنها اخذت تحدث نفسها، لاوية شفتيها، ان هذا سيكون افضل، على كل حال، من الطواف في أنحاء الحديقة وهي تفكر في ذكرياتها المريرة، أو رفع صوتها فوق الضجة التي تسود جو المطعم الراقي الذي استأجرته والدتها لأجل ابنتها سيليا في آخر ليلة من حريتها، حرية؟ وارتجفت بيني، ما أغلى الحرية، وتمنت ان لا تندم سيليا على خسارتها لحريتها، رغم ان ميتشيل كان مختلفاً عن الين زوجها السابق، بالطبع كما ان سيليا اكبر سناً واعقل منها هي عندما تزوجت...

حدثت نفسها بأن عليها ان تكف عن مثل هذه الأفكار، لقد اصبح كل ذلك من الماضي، الآن، كما ان الين قد مات، ان سيليا ستكون سعيدة، ثم ان هذا ليس من شأنها هي ولا علاقة لها به، فلا لزوم إذن لمثل هذه الأفكار المأساوية.

نظرت مرة أخرى إلى ساعتها، ثم اخذت تحدق في الأفق،

نعم ذاك هو القطار، انه الآن يدور حول المنعطف الذي يؤدي إلى محطة ساندرهام هذه، ورفعت ياقة معطفها تصد بذلك الهواء البارد، ثم تقدمت إلى الأمام.

لم تكن المحطة مزدحمة، ولكن هذا القطار كان يحضر عدداً قليلاً من القادمين إلى بيوتهم، وقبل ان يقف القطار تماماً كانت الأبواب قد فتحت واخذ المسافرون يقفزون منه، ثم يهرعون إلى المخرج ومنه إلى موقف السيارات ومن ثم إلى العشاء الذي ينتظرهم، فقد كانت هذه بداية العطلة الأسبوعية.

اخذت بيني تبحث بين القادمين عن معطف واق من المطر وشعر شائب أشعث، ولكنها لم تر أحداً، نظرت مرة أخرى حتى النظارات وشرود الأساتذة قد يفيدانها في البحث، كما اخذت تفكر بشيء من التهكم، ولكنها لم تجد أياً من هذه الصفات في أي من القادمين، وفكرت بأسف في ان من الواضح ان إينشتاين ليس بين القادمين.

ليس عليها سوى ان تنتظر إلى ان يذهب كل هؤلاء القادمين إلى بيوتهم، ثم ترى من سيبقى وحيداً، ولكن عدا عن رجل يرتدي بنطلون الجينز وحذاء رعيان البقر، وآخر من عمال المحطة، لم تجد بين الرجال الواقفين على الرصيف من يمكن ان يكون استاذ فلسفة، لم تستطع ان تتكهن بمن يمكن ان يكون بين هؤلاء الرجال المتوسطي السن، المحترمي المظهر، والذين يحمل كل منهم حقيبة أوراق، معلم ميتشيل العجوز.

عادت إلى الخلف واستندت إلى جدار المحطة، ومر بها مجموعة المتقدمين بالسن، لم يتوقف منهم احد، لم يتردد

منهم احد، لم يبد على أي منهم انه يتوقع ان يستقبله احد؟ في الواقع كانت السرعة والتعب يبدوان عليهم.

شعرت بالعطف عليهم والتجاوب معهم، ماعدا ذلك الرجل الذي كان يحتذي حذاء رعيان البقر، ذلك انه بدا وكأنه لا يعرف معنى كلمة تعب، وعندما أخذ يسير على الرصيف بخطوات واسعة، رأته يسير برشاقة عفوية لرياضي، لقد اعجبها، وتمنت لو كان معها دفتر الملاحظات لتأخذ له رسماً تخطيطياً.

لكنها ما لبثت ان انتبهت إلى نفسها، ذلك انها لا يمكن ان تبقى متسكعة في هذه المحطة الريفية محدقة في هؤلاء الغرباء وخصوصاً إلى الشبان منهم، فقد لا يعجبهم ذلك، ومن الممكن ان يأخذوا عنها فكرة خاطئة.

لكن ما ان اقترب هذا الرجل الغريب حتى رأت انه لا يبدو بالفتوة التي بدت لها، فقد كان ثمة خطوط على وجهه الوسيم اضافت سنوات إلى عمره ومعها عالم كامل من الخبرة، وإذا بها تجد نفسها تحدق فيه بالرغم منها.

كان منظره آسراً، ظنت للوهلة الأولى ان شعره اشقر، ولكنها ما لبثت ان اكتشفت انه مزيج من الأشقر والأبيض، كما كان كثاً ناعماً يلتمع في شمس الأصيل فوق وجه وسيم ساخر.

نظرت إلى حاجبيه الكثيفين القويين وفكرت في انه وجه لمغامر، وجه رأى الكثير، وقام بالكثير دون اهتمام كبير منه بأي من ذلك، ومع ذلك فقد كان هذا يضفي عليه جاذبية خاصة.

وإذ رأت احد حاجبيه الداكنين يرتفع وهو يراها تحدّق فيه، بدا لها فاتناً للغاية، وتقابلت اعينهما لحظة قصيرة،

كان في عينيه تحد ضاحك شعرت إزاءه بانحباس في انفاسها، وتأهبت في نفسها روح الدفاع. وما لبثت ان اشاحت بوجهها وقد احمرت وجنتاها.

أخذت تتظاهر بالنظر إلى الجموع التي كانت تمر بجانبها، واعية طوال الوقت اليه وهو يقترب منها وقد بان التفكير في عينيه.

فكرت وهي تدس يديها في جيبها، عما عسى ان يريده منها.

شعرت بارتباك مفاجيء، لا بد انه ظنها تريد ان تتعرف اليه لغاية شائنة، وإذا كان هذا صحيحاً فليس لها ان تلوم سوى نفسها، فهي تعلم انه ما كان لها ان تحدّق فيه بهذا الشكل، لم تعرف لماذا فعلت هذا، فهو ليس من عادتها.

رفعت بيني رأسها ونظرت في الاتجاه المعاكس بعنف، لكن الرجل كان مايزال يقترب منها، إنما دون سرعة، وابتلعت ريقها وهي تطمئن نفسها إلى انه لن يوجه اليها أي كلام، فالناس لا يفعلون ذلك وخاصة في محطة ريفية والساعة السابعة مساء.

حدثت نفسها بأن عليها ان تفكر في شيء آخر، وان تتذكر ما جاءت لأجله، واجفلت قليلاً وهي ترى الرصيف قد اصبح خالياً تقريباً، ثم يتقدم منها احد يبدو عليه التردد والتساؤل، لم يظهر على شخص ما انه يتوقع ان يجد أحداً في استقباله، قد يكون الاستاذ قد فاته القطار.

تنهدت بيني وهي تخرج يديها من جيبها، انه أمر مزعج حقاً، قد يكون عليها ان تتصل هاتفياً بميتشيل لتعلم منه اين كان الاستاذ قضى ليلة أمس، ولكنها تذكرت انه لا بد الآن في

حفلته التي اقامها للرجال فقط، وهذا يعني انها لن تتمكن من اقتفاء آثار الفتى، وهكذا لم يعد امامها سوى ان تعود لتنتظر كل قطار يأتي بعد هذا، هذه الليلة، ان بإمكانها ان تتصل هاتفياً بالقطار النهائي، فقد تستطيع اقناعهم بوضع ملحوظة لجلب انتباه أي زائر غريب يغير القطارات.

قالت بصوت عال: «تباً لكل هذا.»

واذا بصوت اميركي رقيق يقول: «هاي، هل تبحثين عني، ايتها الجميلة؟»

قفزت بيني مجفلة وهي تتنفس بعنف، يبدو ان الأميركيين لا يعرفون الأعراف السائدة في محطات القطار الريفية في انكلترا، في الساعة السابعة مساء: واستعدت للتظاهر بالبرودة: «لا اظن ذلك.»

«هل انت متأكدة؟»

وعند اقترابه منها بدا لها اكثر جانبية، كان اسمرار وجهه يظهر اسنانه ببياض الثلج، وعينيه بزرقة البحر الأبيض المتوسط في يوم صيفي، كانت عيناه في الواقع اكثر ما رأته من الأعين زرقة، كما انهما كانتا شديدتي اللمعان والحركة، ولم يبد عليه الخذلان وهو يسمع جوابه الحاد، واخذت تكافح شعوراً بالدوران.

اجابته بعزم يفوق ما تشعر به حقيقة: «متأكدة تماماً.»

بدت في عينيه نظرة ضاحكة مزيجة بالاستحسان ثم هز رأسه قائلاً: «هذا مؤسف.» ونظر حوله إلى الرصيف الخالي. «يبدو ان بإمكاني ان احصل على رحلة بالسيارة تلك.»

حدقت بيني فيه غاضبة: «ماذا تعني؟»

بدت السخرية في عينيه وهو يجيب: «اعني رحلة فقط، يا عزيزتي، اعدك بذلك، إلا إذا شئت...»

وسكت، ما جعل الإحمرار يصعد إلى وجهها، وقد ضايقها التفكير في انها جلبت الإهانة لنفسها بتحديقها فيه بذلك الشكل.

ثم قالت ببرودة: «انني مع الأسف في انتظار شخص.»

لوى شفتيه وهو يرفع حاجبيه، واعجبها جمال هذه الحركة في ملامحه، ما صممت معه على ان ترسمها فيما بعد، من الذاكرة طبعاً.

ثم قال برقة: «اتنتظرين شخصاً؟ أليس ذلك الشخص هو أنا؟»

«انك...» وبترت كلامها قبل ان تقول شيئاً تندم عليه، ثم عادت تقول بلهجة لاذعة: «لست انت طبعاً، فأنا انتظر شخصاً كبير السن ومحترماً، ويبدو انه فاتني، أرى ان اذهب لأرى ان كنت استطيع الاتصال بصهري.» قالت ذلك وكأنها تحدث نفسها، ثم ادارت كتفها اليه، ولكنه مرة أخرى لم يرتبك، بل مد يده يديرها نحوه بسهولة وهدوء تام، اما بيني فقدت القدرة على النطق.

«الآنسة برينكمان.»

حدقت فيه بحيرة، بدا بابتسامته هذه اكثر استهتاراً حتى مما اسبغ عليه بنطلونه الجينز وحذاء رعاة البقر الذي ينتعله، كانت لمحة السخرية ماتزال في وجهه، وجمدت مكانها وقد تملكها الشك.

عاد هو يقول بلهجة راضية جعلتها تجفل وكأنها تلقت إهانة: «أدركت انك لا بد ان تكونيها، انني غارد زولتان غارد.»

وشملتها موجة عارمة من الارتباك، اخذت في البداية، تحدّق اليه ذاهلة، لقد اخذت في البداية، تثرثر معه، ثم زجرته، وان لم تنجح في ذلك وها هو ذا الآن يدعي بأنه ذلك الزائر المحترم، لم تشعر بيني في حياتها قط من قبل بمثل الاضطراب والارتباك اللذين تشعر بهما الآن.

قالت بضعف: «الاستاذ غارد؟»

لا يمكن ان يكون هذا صحيحاً، يا ليته غير صحيح، هذا بينما كان هو يقول وقد بدت التسلية في عينيه: «نعم، هذا أنا.»

كان الأمر إذن صحيحاً، أمسك يدها يهزها مصافحاً.

كانت يده ثابتة قوية، وشعرت بالارتياح إذ لم يبق ممسكاً بيدها، كان هذا منتظراً منه بعد معاملتها له وكأنه سيختطفها، كما رأت بيني، وما ان ترك يدها، حتى اخذت تدعك اصابعها بيدها الأخرى المكسوة بالقفاز، لكي تعيد الدم فيها إلى الجريان.

رأت الاستاذ غارد ينظر اليها متفكهاً مدركاً ما تفكر فيه، وهو يقول: «ألم تتوقعي منظري بهذا الشكل؟»

جاهدت بيني لكي تتمالك نفسها، ونجحت في ذلك، ولا شك ان سنوات من السيطرة الحديدية على نفسها قد آتت ثمارها الآن.

قالت: «ليس تماماً.» ابتسمت له بحذر، دون ان تنظر في عينيه وهي تتابع قائلة: «كان علي ان اتكلم مع صهري الجديد عن إرشاداته بالدقة.»

فرفع حاجبيه قائلاً: «لقد كانت ارشادات ميتشيل جيدة، فقد وصفك بكل دقة.» كان هذا الجواب من الاستاذ غارد غير

منتظر، ومرة أخرى لاحظت في لهجته نبرة خفيفة من الإزدراء، طبعاً بالنسبة إلى شخص مثله، ان تستقبله ببنطلون جينز رث، مازالت عليه مسحات من الطحين من المطبخ حيث كانت تعد العشاء، مثل هذا الاستقبال لا يدل ابداً على ذوق أو احترام لمن هو في مركزه.

أدهشها ان ترى انه لاحظ ذلك، إذ قال بنفس اللهجة المتفكهة: «وقد عرفتك أليس كذلك؟»

فقالت بسرعة وهي تجيل نظراتها في أنحاء الرصيف الخالي: «هل تركت امتعتك في غرفة الانتظار؟»

أخذ يربت على الحقيبة الرياضية المعلقة إلى كتفه وهو يقول: «هذه أمتعتي.»

فقالت: «آه...»

واخذت تتساءل عما إذا كان من الممكن ان تحتوي على بذلة، واذا لم يكن ذلك، ماذا سيرتدي في حفلة الزفاف، وماذا ستقول والدتها؟ لوت شفتيها، وإذا بها تشعر فجأة بالابتهاج، فقالت له: «حسناً، هذا سهل إذن، ان السيارة في الموقف فلنذهب إليها.»

كانت هذه سيارة قديمة اعتادت استعمالها في رواحها ومجيئها، وقد حاولت تنظيمها من الداخل ولكنها اخيراً لم تجد وقتاً لذلك، وبدت لها الآن فجأة وكأنها برميل قمامة متنقل، ابتدأت بالإعتذار عن حالة السيارة هذه ولكنها ما لبثت ان سكتت وهي تقلب شفتها، فقد بدا لها ان بامكان الاستاذ غارد ان يجرح احساسها.

لم يعلق هو على اعتذارها هذا وإنما مد يده يطلب منها مفاتيح السيارة.

تملكتها الدهشة وهي ترى نفسها تمد اليه يدها بالمفاتيح ببساطة، ولكنها قالت بعذوبة: «ألا تحب ان تقود بك السيارة امرأة يا استاذ غارد؟»

نظر اليها لحظة بعينين ضيقتين، ثم ألقى برأسه إلى الخلف وهو يقهقه ضاحكاً: «ان لديك فكرة غريبة عني، يا عزيزتي.» وألقى بحقيبته في صندوق السيارة بدون اهتمام، ثم استدار نحو باب السيارة من ناحية مقعد القيادة، ثم وقف يدعوها إلى الصعود.

شعرت بيني بوجهها يحمر خجلاً، ها انها تخطىء مرة أخرى، فشكرته ببرودة، ثم صعدت إلى مقعدها.

ابتسم هو لها، ثم ألقى بالمفاتيح في حجرها قبل ان يغلق عليها الباب، وهو يقول ساخراً: «يبدو انك تظنينني متشرداً، ولكنني تلقيت نشأة جعلتني رجلاً مهذباً.»

وقبل ان تجيبه، كان قد استدار حول السيارة إلى الباب الآخر ثم صعد إلى جانبها.

تحركت بالسيارة وهي تشعر به يراقبها، تملكها الغيظ وهي ترى نفسها تجاهد في سبيل السيطرة على السيارة، خلافاً لعادتها.

عندما خرجا من موقف السيارات، مد رفيقها ساقيه الطويلتين أمامه، ثم دفع مسند المقعد إلى الخلف، ثم قال ببطء: «اخبريني ما الذي كنت تتوقعينه، بالنسبة إليّ؟»

ألقت عليه بيني نظرة تقييم سريعة من تحت اهدابها، ثم قررت ان تخبره بالحقيقة والتي ربما ستهزه هذا وتخرجه عن مزاجه البارد، ثم قالت له: «توقعت رؤية البرت اينشتاين.»

ساد الصمت لحظة قال بعدها متسائلاً: «اينشتاين؟»

«هذا ما اخبروني ان انتظره، كنت اتوقع رؤية رجل كهل غامض لامع، وقد يكون حاملاً قيثارة.»

عاد يقول وقد بدا عليه السرور: «اينشتاين، إذا كان ميتشيل هو الذي اخبرك بذلك، فمعك حق، فان اختصاره في الوصف يحتاج إلى مراجعة.»

قالت: «أنا في الحقيقة، لا أدري ما قاله ميتشيل فقد اخذت مواصفاتك هذه من شقيقتي سيليا في نفس وقت وصول قطارك.»

فقال: «كان حسناً منك القدوم لاستقبالي، على كل حال، ثم ان تهتمي بي، فقد كنت متوقعاً ان ارقد على أرض غرفة ميتشيل.»

لم تشأ ان تقول له انه، بهذا المظهر قد يرتاح اكثر على الأرض عند ميتشيل، ذلك ان والدتها لن يعجبها ان يحضر بهذا الشكل حفلة الزفاف الكلاسيكية الطراز، ولكنه سيعلم ذلك في وقته، ولهذا لم تجد فائدة من تحذيره.

بدلاً من ذلك، قالت بأدب: «اخشى ان يكون منزلنا مليئاً بالضيوف. أفراد الأسرة جميعاً، وصيفات العروس وغيرهم.»

فقال ببطء: «هذا أمر ممتع.»

لكن عندما أدخلته إلى مطبخهم الفسيح المريح، حيث اعتادت الأسرة ان تجتمع، بدا ان المنزل كان خالياً، فتوقف رافعاً احد حاجبيه: «ألم تقولي ان المنزل مليء؟ يبدو اننا وحدنا هنا.»

عاد وجهها إلى الإحمرار لسبب لم تدركه، لقد بلغ عدد المرات التي احمر فيها وجهها في ظرف ساعة واحدة، اكثر منه في الخمس سنوات الماضية، وتملكها الغيظ لدى هذه الفكرة.

فقالت جاهدة في إظهار عدم المبالاة: «لقد خرج الآخرون، فالعادة ان يأخذ اصدقاء العروس والعريس كلاً منهما وحده، وذلك ليلة الزفاف.»

ارتسمت على فمه ابتسامة عريضة، وقال: «لقد سبق وسمعت عن ذلك، يبدو لي ان هذه عادة خطرة.»

كان هذا رأيها، هي أيضاً، فقالت ضاحكة: «قد يكون هذا، ولكنني لا اظن سيليا أو ميتشيل سيودعان العزوبة بشكل صاخب.»

هز زولتان غارد كتفيه: «آه، مادامت هناك نية لذلك، فالنوايا في رأيي، نادراً ما تكون خطرة، الخطورة تكمن في العاقبة.»

نظر اليها بإمعان: «هل هذا هو السبب في تخلفك عنهم؟ اتراك باقية للعناية بالحالات الطارئة إذا ما حدث شيء سيء؟»

فقالت ضاحكة: «كلا، فانا لم اذهب لأنني لا احب الأجواء الصاخبة، ان أسرتي تعلم أنني لا احب الحفلات.»

فقال: «هذا غريب.»

جلس على زاوية المائدة وهو يؤرجح إحدى قدميه، ثم اخذ ينظر اليها وكأنها صنف جديد من الأحياء، كما رأت بيني وقد عاد اليها شعورها السابق بالضيق.

قالت وهي تهز كتفيها: «لا شيء خاصاً في ذلك، فكثير من الناس لا يحبون الحفلات.»

«هذا صحيح، ولكن أسرهم المحبة لا تلقي بهم بين النفايات، لهذا السبب.»

«انهم لم يلقوا بي...»

سألها برقة: «أليس في إرسالهم لك لاستقبال البرت اينشتاين بينما يذهبون هم للهو في المدينة، أليس في هذا إلقاء لك بين النفايات؟»

كانت عيناه وهو يقول هذا تتفرسان فيها بشكل غريب.

فعقدت حاجبيها بحيرة: «هذا لا يعني ذلك، كل ما في الأمر انه بدا أمراً طبيعياً حيث انني لم اكن خارجة معهم على كل حال.»

«اتريدين ان تخبريني بأنهم دعوك للذهاب معهم؟»

فتحت بيني فمها لتقول انهم فعلوا ذلك، ولكن نظرة منها إلى عينيه الزرقاوين الباردتين... أو لعلها ميزة الصدق فيها، منعتها من ذلك.

فقال الاستاذ غارد وهو يضع ساقاً فوق الأخرى، مبتسماً لها: «ان فيك شيئاً من ساندريلا أليس كذلك يا آنسة برينكمان؟»

قالت بيني مؤكدة: «هذا غير صحيح، فأنا لست ساندريلاً أو غيرها، انني امرأة عاملة، اذهب حيث أشاء، وافعل ما أريد.»

فضحك قائلاً: «رائع.» ووقف ببطء، ثم تقدم نحوها، بينما كانت هي تتابع قائلة: «ثم ان اسمي ليس برينكمان، انه داين.»

سألها: «هل انت متزوجة؟» تباً له، فهو يبدو وكأنه لا يصدق هذا، وتمنت لو تقول له نعم، ولكنه لن يلبث ان يعرف الحقيقة.

قالت وهي تشعر بالكراهية له: «انني مطلقة.»

فاستأنف تقدمه نحوها وهو يتمتم قائلاً: «هذا يدهشني.»

قالت له بغضب: «انك أسوأ الرجال الذين عرفتهم تهذيباً.»

توقف عن السير وهو يقول: «هل ترينني كذلك؟ لا بد انك عشت حياتك في عزلة بالغة.»

حملقت فيه قائلة: «انني مديرة مستشفى كبير في لندن، صدقني وهذه ليست حياة منعزلة.»

فقال: «ان من يراك لا يظنك هكذا، ولكن اخبريني كيف حدث انك لم تصادفي قط رجلاً يمثل سوء تهذيبي؟ اتراك تخوفين كل المتقدمين اليك؟»

كانت الحيرة الصادقة تبدو على اساريره، ولكن لهجته الهادئة لم تخف حقيقة أن هذه محاولة أخرى منه، كما رأت بيني، لتحقيرها، فرفعت رأسها، قد يكون ضيفاً في منزل اهلها هذا، ولكنه لن يتمكن من ارهابها وجعلها تقبل الإهانات دون دفاع عن نفسها، لقد تعلمت في السنوات الخمس الماضية، كيف تكون نصيرة نفسها، وفي الخلاصة النهائية كيف تتخلى عن سلوك السيدة المهذبة الذي تعلق عليه والدتها أهمية كبرى.

سألته بإزدراء: «متقدمين لماذا؟»

قال الاستاذ زولتان غارد برقة فائقة وقد لمعت عيناه وكأنه احرز نصراً لم يتوقعه: «لحبك.»

الفصل الثاني

قال ذلك وهو يتقدم نحوها فدفعته بصدره بعيداً عنها، كانت تعرف نفسها قوية كامرأة، ولو كانت كذلك عندما كان الين...

توقفت عن التفكير، فقد تملكتها صدمة وهي تدرك انها سواء كانت قوية أم لا، لم تترك أي تأثير عليه، وكان هو يضحك منها وهو يقول: «هذا مدهش.»

ضاقت عينا بيني ورفعت بصرها تنظر إلى هذا الوجه الهازل المصمم، ورأت عليه إمارات التحدي، فسألته بارتياب: «ما هو المدهش؟»

ضحك عالياً، ثم اخذ ينظر اليها متأملاً، ثم قال يسألها: «هل من الممكن ان تكوني مصابة بالإحباط هنا؟»

ساد صمت قصير، شعرت بيني في البداية وكأنه صفعها... ولم تعد تستطيع التنفس، تمالكت نفسها، وهي تهتز قليلاً، ثم رفعت رأسها تقابل عينيه المليئتين بالسخرية، ثم قالت له بهدوء: «لا تقم بألاعيب نفسية معي.»

عقد حاجبيه وقد بدا وكأنه يريد ان يقول شيئاً، ولكنها سارعت تقول: «انك هنا بصفتك ضيفاً في عرس شقيقتي، وليس محللاً لنفسيتي، واحباطاتي النفسية أو عدمها ليس من شؤونك، يا استاذ غارد.»

ابتعد عنها وهو يقول: «إنه طبعاً ليس من شأني. وأنا آسف إذ اخفتك.»

تجاهلت سخريته وهي تجيب: «إنك لم تخفي، لكن هل من عادتك اخافة النساء؟»

بدا عليه التفكير فترة، ثم قال: «فقط طلاب السنة الأولى عندما لا يعبأون بتقديم عذر مناسب لتأخرهم في تسليم أوراقهم، إنهم ليسوا جميعاً من النساء، بالطبع.» لوى شفتيه برصانة ولكنها رأت ان عينيه كانتا ضاحكتين مرة أخرى، ثم أمال رأسه إلى جانب وسألها بتهكم رقيق: «هل ذلك يجعل الأمر افضل أم أسوأ؟»

كانت بيني تضع سترتها على ظهر الكرسي، ثم تأخذ في تسوية الكتفين، فنظرت إليه بحذر انما بحيرة: «ما الذي يجعل الأمر افضل أو أسوأ؟»

أجاب برزانة: «هو انني اخيف الناس دون النظر إلى جنسهم، نساء كن أم رجالاً؟»

أدركت بيني انه يريد اغاظتها، وكانت تعلم ان بإمكانها مقابلته بالمثل، فابتسمت له بعذوبة وهي تقول: «انك تقول ذلك وكأنك تستمتع بتعذيب الناس، يا أستاذ غارد.»

فلوى شفتيه: «ان ذلك لسبب جيد، يا آنسة برينكمان، لسبب جيد، فالناس بحاجة إلى من يهزهم من وقت لآخر.»

سمعت الهزل في صوته فلم يعجبها، فسألته متحدية: «وهل انا سبب جيد؟»

فالتمعت عيناه: «جيد؟ لا أدري عليّ ان افكر في ذلك.»

فقدت ابتسامتها شيئاً من عذوبتها وهي تقول: «لا تزعج نفسك بذلك، فأنا لست بحاجة إلى هزة.»

قال لها برزانة: «آه، ولكنك لا تعلمين ما انت بحاجة إليه.»

لكنها قالت بحدة: «فليكن، فأنا لا اريد هزة.»

اخذ ينظر اليها مفكراً، بينما اصبحت هي أقل ثقة ببراءة أسرتها بالنسبة إلى التوسط بالزواج، كانت واثقة تماماً من ان زولتان غارد لم يكن بريئاً قط ضغطت شفتيها معاً وهي تنظر إليه. وابتسم هو قائلاً: «نعم، يمكنني رؤية ذلك، ولكن الأمر ليس هو نفسه طبعاً.»

قالت بحرص: «قد يكون هذا صحيحاً، ولكن ليس لك ان تهتم بي سواء كنت كذلك أم لا أليس كذلك؟ أعني لأنك مجرد عابر سبيل.»

التقت عيناها الخضراوان بعينيه الزرقاوين فسرى في جسدها تيار كهربائي جعلها تتراجع خطوة وقد تملكتها الدهشة، بينما ضحك هو قائلاً برقة: «قد تكونين مديرة رائعة يا آنسة برينكمان، ولكن عليّ ان اخبرك بانك كعالمة نفسانية، لم تصلي إلى شيء.»

اهتزت بيني، وفجأة فارقتها كل رغبة في التحدي.

ثم قالت تذكره: «اسمي السيدة داين.»

نظر اليها متأملاً بعينين ضيقتين ثم قال: «طبعاً، فأنت مازلت تستعملين اسمه، أتراه يحب ان تتسكع السيدة داين هنا وهناك، بينما لم تعد تنتسب إليه؟»

تملكت بيني رجفة وهي تلمس نكاءه، فقد كان ألين يكره ذلك في الواقع، فقد طالما قال لها ان ما يملكه هو ملكه إلى الأبد، وهكذا تجنبت الرد على هذا السؤال.

ثم قالت له رافعة الرأس: «ان زوجي ميت.» ذهل وهو يسمع هذا، وتلاشت السخرية من ملامحه وهو يقول: «إني آسف.»

تملكها الذعر وهي تلحظ مبلغ ما بدا عليه من جانبية في ذهوله هذا، فحولت نظراتها عنه وهي تومىء باختصار،

انها لن تخبره بأنها لم تر الين مدة أربع سنوات وذلك قبل ان يموت أخيراً في قتال في الشارع بين مجموعة من الشبان انها لن تخبر زولتان بأي شيء على الاطلاق.

قالت له باختصار: «من اين لك ان تعلم.»

فقال مقطباً جبينه: «كان على ميتشيل ان يخبرني بذلك.»

هزت كتفيها وهي تجيب: «لماذا؟ ظننتك راضياً تماماً عن اختصاره في الكلام.»

فقال: «كنت مخطئاً، فقد اغفل ذكر ما هو ضروري.»

«حسناً، ما دمت حصلت على ما يكفي من معلومات عن ماضي، ربما بإمكاني ان أريك غرفتك الآن.»

قلب شفتيه قائلاً: «وما فائدة هذه المعلومات؟»

«لأي سبب قد تستعمله في العادة.» وخطر لها شيء، فنظرت اليه متحدية: «انما إياك ان تحاول تخويفي، يا استاذ غارد، لقد مضى الوقت الذي كنت فيه تلميذة ودوماً كنت اقدم اوراقي في حينها.»

تلاقت اعينهما، فابتسم قائلاً ببطء: «شيء ممتع.»

أشاحت بيني بوجهها وقد تملكها الإضطراب: «أتمنى ان تتوقف عن ترديد هذه الجملة.» قالت ذلك محاولة اظهار الضيق، ذلك ان من الأفضل ان تدع هذا الرجل يظن انه يضايقها من ان يعرف انه يؤثر على نبضات قلبها، وأكملت كلامها قائلة: «ان ذلك يجعلني اشعر وكأنني قردة في حديقة الحيوانات.»

«ولكن ليس في القرود مثل هذه... الإثارة.»

فقالت ضاحكة: «انني اعتبر ذلك إطراءً لي، فهذا لا تحصل عليه كل امرأة.»

قالت وقد استيقظت فيها فجأة روح المسؤولية: «هيا بنا

إلى غرفتك، حيث ترتاح إذا كنت متعباً، هنالك طعام جاهز، ولكنك غير مرغم على تناول الطعام الآن، أو على الاطلاق اذا لم تكن تشعر بشهية للطعام.»

«ان روح الضيافة لديك قوية تماماً.» كان في صوته نبرة جافة تجاهلتها بيني، وسارت أمامه خارجة من المطبخ ومن ثم صاعدة إلى الطابق العلوي وهي تقول: «ان غرفتك، مع الأسف في الطابق العلوي، لأن الطابق الثاني مليء بوصيفات العروس.»

تبعها إلى غرفة منخفضة السقف، ثم وضع حقيبته على السرير.

قالت تحذره: «انتبه إلى الدعامات الخشبية في السقف، لقد كانت هذه الغرفة خاصة بالخدم عندما بني المنزل، ربما كانوا قصار القامة في ذلك الحين، أو ربما لم يكن يهمهم ان تنقطع رؤوس الخدم، كما اظن.»

«لا اظن ذلك.» سار نحو النافذة حيث اخذ ينظر من فوق قمم الأشجار إلى التلال البعيدة، ثم قال: «المنظر رائع، هل تلك التي هناك مجموعة احواض؟»

«نعم، ان والدي شغوف بانسجام المناظر.»

فقال: «هذا حسن جداً، ان بإمكاني السباحة فترة جيدة.»

فقالت مبغوتة: «آه، بالطبع، سأحضر المفتاح وآخذك إلى هناك...»

رفع يده قائلاً: «ليس الآن، يا عزيزتي، فالمهم يأتي في البداية، لقد كنت نكرت الطعام.»

ابتسمت بيني وقد نسيت كراهيتها لتحضير الطعام، وقالت: «انه في الفرن، وهو عبارة عن يخنة فقط، مع الأسف انه ليس صنع طاهٍ خبير ولكنه ساخن.»

فقال بتأثر: «يا عزيزتي، طالما ان الطعام ليس له رائحة البلاستيك ولا مذاق المطاط، فهو جيد بالنسبة إليّ.»

«حسناً، انه ليس كذلك فانزل عندما تصبح جاهزاً.»

لم يتركها تنتظره طويلاً، وعندما دخل المطبخ، كانت هي تجلس امام الموقد تحدّق تحت غطاء القدر، كان هو مازال يرتدي بنطلونه الجينز القديم، ولكنه غير قميصه بآخر ذي لون أزرق داكن وفوقه سترة، كان يبدو مسترخياً ومحنكاً للغاية. نظرت بيني متشككة، إذ لم تكن المائدة منسقة بشكل جيد. نهضت واقفة، شاعرة بالارتباك، واخذت تتساءل عن السبب الذي جعلها تعتبره بمثابة متشرد كما لاحظ هو، وقف هو متشمماً باستمتاع وهو يقول: «انها رائحة طعام البيت الشهية حقاً.»

«من المفروض ان أطهي هذا النوع بشكل جيد مادام هو النوع الوحيد الذي أحسنه.»

رفع زولتان حاجبه قائلاً: «انك إذن تحسنين الطهي أيضاً يا ساندريلا.»

كبحت ضيقاً شعرت به وسألته بهدوء: «ماذا تعني بكلمة أيضاً؟»

«انك مثلاً تذهبين لاستقبال رجل غريب في محطات القطار، بينما اخواتك يذهبن إلى المدينة.» وكان في صوته الرقيق نوع من المزاح.

اخرجت بيني القدر من الفرن، ثم استقامت في وقفتها، كانت مصنوعة من الحديد وأثقل من ان تلقي بها بعنف على أرض المطبخ وبكل قوتها، رغم انها كانت تتمنى لو تفعل ذلك.

قالت له متجاهلة ما بدا على ملامحه من مكر: «أرى ان

نتناول العشاء هنا حيث ان غرفة الطعام مليئة بمعدات العرس، كما انها باردة.»

فقال: «نعم، لقد نسيت مبلغ برودة الجو في انكلترا، في شهر أيار (مايو) هذا، لا بد انه مضى عشرون عاماً منذ جئت إلى هنا في مثل هذا الشهر من السنة.» ونظر حوله: «هل يمكنني ان اقوم بشيء؟»

قالت وهي تخرج الخضر من الثلاجة: «كلا، فكل شيء جاهز.»

ثم سكبت من القدر في صحن دافيء وناولته إياه قائلة: «خذ بنفسك ما تريد من الخضر.»

«بالتأكيد.»

ولكنه لم يجلس إلا بعد ان سكبت لنفسها، في صحن ثم جلست، بينما أمسك لها الكرسي، وفوجئت هي بهذا التكريم منه والذي كان قديم الطراز لم تتعوده من اصهرتها، أو من الرجال الذين كانوا يزورونها في بيتها احياناً.

قالت له بشيء من الحرج: «شكراً.» ثم ابتسمت له بخجل.

قطب حاجبيه ووقف لثانية أو اثنتين بجانبها وهو يحدّق فيها وكأنه يراها لأول مرة، وما لبث ان هز كتفيه قليلاً ثم عاد إلى مكانه.

عاد إلى بيني ذلك الاحساس بصعوبة التنفس مرة أخرى، وإخفاء لذلك، سواء منه أم من نفسها، دفعت إليه بإناء الخضر، وهي تسأله: «اين تعرفت إلى ميتشيل، يا استاذ غارد؟ لا يمكن ان يكون ذلك في الجامعة ما دمت لم تأت إلى انكلترا منذ عشرين عاماً.»

فقال يصلح لها خطأها: «ادعيني باسمي زولتان، اما بالنسبة إلى مجيئي إلى انكلترا فقد كنت اعني انني لم

احضر إلى هنا منذ عشرين عاماً في الصيف فقط، لأنني كنت احضر للتدريس بصفة استاذ زائر وذلك حين تعرفت إلى ميتشيل.» ابتسم وهو يستعيد ذكريات الماضي: «حتى انهم كانوا يطلقون عليّ لقب الزائر. ما جعلني اشعر بأنني رجل اخضر صغير الحجم من كوكب المشتري، وإذ افكر في ذلك الآن، اظن ان هذا كان رأي بعض زملائي بي.»

اخذت بيني تتأمل ذلك الوجه الوسيم بتلك اللمحة البرية التي تبدو عليه، ثم فكرت في أولئك الاساتذة الجامعيين ذوي الرصانة والوقار الذين كان والدها يدعوهم احياناً إلى تناول العشاء، فكرت فيهم تقارنهم به، فلم تدهش لقوله هذا.

ثم سألته: «وماذا كنت تعلّم؟ الفلسفة؟»

فأجاب: «الفلسفة هي موضوع واسع، كنت اعلّم المنطق غالباً.»

«المنطق؟ وهل يتعلم الناس هذا في الجامعات؟»

وضع في فمه لقمة ذاقها ثم قال: «هذا طعام طيب، يا ساندريلا، عندما تتعبين من كونك سائقة وطباخة مسحوقة، يمكنك ان تديري مطعماً.»

فقالت ببرودة: «شكراً لك، هل يذهبون حقاً إلى الجامعة لتعلم المنطق؟»

«ولماذا لا يتعلمون المنطق في الجامعة؟»

فقالت متعلثمة: «حسناً، يبدو ان هذا أمر اساسي اننا جميعاً منطقيون، أليس كذلك؟ أليس هذا ما تعلمه الثقافة العصرية؟»

هز الشوكة أمامها وهو يقول: «هذه فكرة خاطئة وهذه هي مهمة الثقافة العصرية كما ينبغي ان تكون، ان علينا ان نشرح للجيل القادم كيف وصلنا إلى استنتاجاتنا، وكيف

يقومون بها بأنفسهم بمعطيات وحقائق علمية جديدة. ولكننا بدلاً من ذلك، نعلم أولادنا كيف يختزنون في ذاكرتهم الحقائق، انهم ليسوا افضل، في استنتاجاتهم من قواعدهم الأولية، مما كان عليه سكان القرون الوسطى.» وفكر لحظة ثم عاد يقول: «بل أسوأ في الحقيقة.»

واخذ يمضغ الطعام متلذذاً ثم تابع يقول: «لقد ألقيت محاضرة بهذا الشأن السنة الماضية في جامعة غوتنبرغ.»

فهتفت بيني مأخوذة: «آه، وهل هذا ما علمته لميتشيل؟»

هز رأسه قائلاً: «المنطق هو ما اعلمه لأكسب به عيشي، اما اهتمامي الحقيقي فهو فلسفة الحرب، انه ليس موضوعاً محترماً تماماً... وان كان المؤرخون يظنون انه ينتمي اليهم... ولهذا اتبع المواد المتعارف عليها لأرضيهم، ولكن ميتشيل كان يقدم اطروحة بموضوع (صراع الدعايات). وهكذا قمنا ببعض العمل معاً، هل قرأتها؟»

فهزت بيني رأسها نفياً، كان كل ما تعرفه عن صهرها المقبل هو انه من الصحفيين.

«هذا مؤسف، فهي جيدة وكان عليك ان تقرأيها، هل لك ان تعطيني مزيداً من طعامك يا ساندريلا؟»

قالت له بأحلى ابتسامة: «لن اعطيك إلا اذا توقفت عن مخاطبتي باسم ساندريلا.»

فضحك وهو يقول: «لن أتوقف عن ذلك إلا اذا خاطبتني باسمي زولتان.» فاحمر وجهها قليلاً، وقامت تشغل نفسها في الفرن موارية عنه هذا الإحمرار السخيف، كما تراءى لها، فهي ليست طفلة، ووجهها لم يعرف الإحمرار منذ سنوات... وطبعاً لم يكن هذا بسبب دعوة رجل لها لاستعمال اسمه الأول.

كان بإمكانها ان تشعر به يراقبها، فجاهدت لكي تشعر بعدم المبالاة التي كانت تتصرف بها عادة مع العديد من الغرباء الذين تقابلهم في منزل والديها.

ثم عادت تحمل اليه طبق الطعام.

ثم سألته: «زولتان؟ من أي هوية هذا الاسم؟»

«هنغاري.»

جلست، بينما التقط هو شوكته وعاد يأكل وقد بدا السرور على وجهه.

قالت فجأة: «ثم؟»

فرفع بصره اليها: «ثم؟»

فقالت بصبر: «ما الذي جعلك تحصل على اسم هنغاري؟ أو نصف اسم، فأنت لن تستطيع الحصول على اسم فيه من الهوية الانكليزية اكثر من اسم غارد كما اظن.»

فضحك قائلاً: «هذا ما اعرفه، ان هذا أسهل من الاستماع إلى مواطنيك وهم يلوكون السنتهم باسمي فيشوهون لفظه، فاسمي هنغاري بأكمله.»

حدقت بيني اليه: «هنغاري؟ ولكنك... اميركي، أليس كذلك؟ ان لهجتك ليست هنغارية.» بدا من لهجتها وكأنها تتهمه، فاحمر وجهها خجلاً.

«وفي هنغاريا يقولون انني لا ابدو هنغارياً.» قال ذلك بمثل لهجتها: «ولكن الحقيقة تبقى هي هي.»

«ولكن ما الذي تفعله في انكلترا؟»

فقال هازلاً ينكرها: «لقد تلقيت دعوة.»

أدركت انه يغيظها. فحملقت فيه، ولكنه مط أساريره، بشكل هزلي، ثم قال: «انك تريدين قصة حياتي، لا بأس، ستحصلين

عليها.» واستند إلى الخلف في كرسيه، ثم اخذ يقول: «ولدت في بودابست، كنت هجينا تماماً، اثنان من اجدادي هنغاريان، وواحد روسي، وواحد نمساوي، وواحد فرنسي، برزت موهبتي في الرياضيات مبكرة، ثم تخرجت وامتهنت مهنة التعليم، ولكن السأم تملكني فسافرت إلى فرانكفورت لدراسة علم الكمبيوتر، ثم تخرجت واخذت في التعليم، ولكن السأم عاودني فذهبت إلى جامعة كمبريدج في مشروع أبحاث، ثم إلى مدرسة الفلسفة حيث قدمت أطروحة نلت بها درجة علمية، وبعد ذلك عدت فدخلت مجال التعليم.»

أنهت كلامه بجفاء: «ثم عاد السأم إليك.»

أخذ رشفة من فنجان القهوة ثم قال: «نعم، فأنا على عتبة السأم.»

«ماذا فعلت حين تركت جامعة كمبريدج؟»

ألقى عليها نظرة حذر غريبة ثم سألها: «ألم يذكر ميتشيل ذلك؟»

كانت فرصة جيدة تسحق بها شيئاً من ثقته بنفسه، ولو غفلت بيني عنها لما كانت بشراً، فقالت: «ان ميتشيل لم يأت على ذكرك قط.» ولكن لم يبد عليه انه سحق، فقد التوت شفتاه بابتسامة استحسان، وهو يتمتم قائلاً: «هذا يضعني في مكاني.»

بدت الحدة في عيني بيني، يا له من نكي، ثم قالت له بلهجة لاذعة: «لا يبدو ان لك مكاناً.»

رفع حاجبه بمكر: «آه، انك تحبين ان تظهر الجراح، أليس كذلك؟» وكان الهزل ما يزال يبدو عليه: «ومع ذلك فميتشيل يقول انك مهذبة.» وهز رأسه بحزن مفجع.

اخذت تنظر اليه ملياً، ثم قالت: «اظنني احب ان اعرف، بالضبط، ما كان صهري المقبل قد قاله عني.»

تلاقت عيناها بعينيه متحدية، وكانتا تلتمعان، ثم قال: «ان ذلك لن يعجبك.»

«ماذا تعني؟»

«حسناً، لقد سبق وقلت انك لا تحبين الهزات، فإذا ما ذكرت لك ما وصفك ميتشيل به، لأصابتك هزة خطيرة.»

نظرت اليه بصمت فترة طويلة، فنظر إليها بدوره، كانت ملامحه رضيّة انما غير مقروءة، ثم لوى شفتيه.

وأخيراً قالت: «لا بأس، انك أمهر مني في التلاعب بالألفاظ.»

قال ببطء: «لا تقلقي من هذه الناحية، فأنا أمهر من كل شخص.»

فألقت عليه نظرة نفور عميقة، كانت غطرسة هذا الرجل لا تحتمل.

ثم قالت: «لا شيء مما تقول أو تفعل يمكنه ان يقلقني.»

لوى شفتيه، قائلاً: «اظنك تقللين من شأننا، انا وانت.»

بعد ان استوعبت قوله هذا، لم يعجبها ما تضمنه على الاطلاق.

فقالت: «اظنك امضيت وقتاً طويلاً مع التلامذة، يا استاذ غارد، ولكنك لن تستطيع ان ترهبني أو تقلقني.»

أخذ ينظر اليها مفكراً وقد اسند ظهره إلى ظهر الكرسي: «لا بأس، هل تريدين ان تعرفي ما الذي قاله ميتشيل؟ سأخبرك.»

تحركت بيني بعدم ارتياح، ثم جلست جامدة، كانت هذه مشيئتها، على كل حال، وتمنت لو كانت أدركت انها ستتسبب في هذه النظرات النفاذة كذلك.

«لقد قال انك لامعة الذكاء، جداً ذكية، ومن الذكاء بحيث انك تخيفينه... رغم انه لم يكن يعلم السبب في ذلك.» ثم نظر اليها متفحصاً: «يمكنني ان اخمن السبب تقريباً.»

رفعت بيني رأسها بحدة.

فقال: «انه الجبن، انه تهرب واضح.»

قالت ساخرة: «من الممتع ان يعلم المرء رأي الآخرين به.»

فهز كتفيه: «عدا عن ذلك، قال انك رائعة رغم انه لا يبدو انك تعلمين ذلك، لا يمكن الإقتراب منها، حسناً في الواقع ان الكلمة التي استعملها هي انك باردة، ولكنني لا اظنه كان يعني ذلك، على كل حال لم تكن هي الكلمة الصحيحة.»

ردت بيني بجفاء: «اشكرك.»

فقال وهو ينظر اليها مداعباً: «كلا، كلا، كل ما في الأمر ان من الواجب ان يكون الشخص منصفاً، اما انك باردة فهذا غير صحيح، اما انك سيئة الطباع ومقاتلة، فهذا صحيح.»

كان دورها الآن لترفع حاجبيها، وكانت فخوراً نوعاً ما بالطريقة التي استطاعت بها القيام بذلك، فقالت بصوت طبيعي: «يبدو انك عرفت الكثير عني في هذا الوقت القصير، بينما اعرف ان الجامعيين لا يحبون القفز إلى النتائج بمثل هذه السرعة.»

قال: «بل هم يفعلون ذلك، يفعلونه، كما ان كثيرين من الجامعيين لا يوافقونني.»

فقالت بحيرة: «لا يوافقونك؟»

«مثلك تماماً، وهذا أمر محزن.»

قالت ساخرة: «لا يبدو انك تهتم كثيراً بذلك.»

«ليس كثيراً، وانا موافق بوجه عام، ليس لدي افكار الانكليز الفظيعة عن الرغبة في أن يحترمني خصومي، رغم

ان هذا يصبح مزعجاً احياناً.» اضاف الجملة الأخيرة مفكراً، فتملك بيني الارتباك: «يصبح مزعجاً؟ كيف؟ ولماذا؟»

«عندما يكون الخصم اشقر، أخضر العينين.»

استغرق استيعابها لما قال ثانيتين أو اكثر، وعندما تم ذلك احمر وجهها خجلاً، واخذ زولتان يراقب تصاعد الإحمرار تحت بشرتها الرقيقة بإعجاب بالغ.

قالت ذاهلة: «أنا... أنت...؟ كيف تجرؤ؟»

فتمتم يقول: «طبع سيء، مقاتلة.. ليس ثمة ذرة من البرودة.»

مال إلى الأمام ثم لمس وجنتها بقفا يده، فاندفعت مبتعدة عنه وكأن لمسته كانت صدمة كهربائية، ثم قالت بصوت أقرب إلى الصياح: «إياك ان تلمسني.»

كان هو ينظر إلى يده ويهز اصابعه بأسف: «هل هذا يحدث كثيراً؟»

«انه...» وكبحت الإهانة التي أوشكت ان تفلت منها، كانت تظهرها غير منضبطة، مراهقة، عديمة التفكير. لم تكن تريد ان ترى زولتان غارد أياً من هذه الصفات، وعدت للعشرة قبل ان تقول بلهجة خطيرة: «لم اتعود ان يعاملني أحد من ضيوف بيت والديّ بخشونة، كلا.»

«والآن... لم يقل ميتشيل قط انك خيالية أيضاً.»

«أنا...»

«هيا، اعترفي بذلك، هل هنالك ولو ذرة من المبالغة؟»

«انا لا اتذكر انني دعوتك لكي تلمسني.»

فقال ضاحكاً: «تلك هي المشكلة، أليس كذلك؟ هل ينتظر الرجل في انكلترا دعوة؟ وربما ان تكون كتابة، دون شك.»

كانت بيني ترتجف غضباً، فذكرت نفسها بأنه ضيف،

وكونه سيء التصرف ليس عذراً لها لكي تنحدر بمستواها، لذا قالت بكل ما امكنها من برودة: «هل من اختصاصك ان تكون فظاً مع الغرباء عنك؟ أم انها مجرد هواية؟»

ضحك وقال: «يا للمسكينة ساندريلا، لا تحملقي بي غاضبة بهذا الشكل وكأن نظراتك طعنات خنجر، انني لن اخبر احداً.»

«لن تخبرهم بماذا؟» سألته ذلك بصوت كالثلج.

«بأن الإحباط قد جعل لديك عقدة.»

تلاقت اعينهما مرة أخرى، وفي هذه المرة لم تحاول بيني حتى ان تخفي لمعان الغضب في عينيها، وقد عادت شكوكها وعدم ترحيبها به أقوى مما كانت.

كانت تتذكر، وبكل وضوح، تحذيرات صديقتها سوزان الضاحكة، لقد اتفقت الأسرة بأجمعها على ان تجعل بيني، وبيني وحدها، تجتمع بهذا الرجل الليلة، ثم تمكث وحدها معه، قالت له بصوت لا يكاد يعلو عن الهمس: «كيف تجرؤ؟»

«ألا تحبين الحقيقة؟»

كان صوتها عنيفاً وهي تقول: «لا احب ان يتكهن اناس لم اعرفهم قط من قبل بافتراضات عن مشاعري العاطفية ثم يلقونها في وجهي وذلك بعد ساعتين من تعارفنا.»

ساد صمت مكهرب لحظة قال زولتان بعدها برقة: «من قال انني اتحدث عن مشاعرك العاطفية؟»

فتحت بيني فمها ذهولاً، ثم قالت متحدية: «ألم تفعل ذلك؟»

أجاب مفكراً: «كلا، ولكن بما انه يبدو ان هذا ما تفكرين فيه... وانت اعلم بنفسك، فأنا اتساءل...» ولم يكمل كلامه.

تمنت بيني لو انها في أي مكان في العالم ما عدا هذا المطبخ... ومع أي رجل ما عدا هذا الرجل المتهكم عديم الاحساس.

ابتلعت ريقها متجاهلة ذلك الطنين الخفيف في أذنيها، محدثة نفسها بأن هذا قد ينتهي على خير. على الأقل في تصميمها على تجنب أي تورط مكشوف، فإذا كانت أسرتها قد وضعت مؤامرة ما، لجمعها بزولتان غارد هذا، فليس ثمة ما يمنع من ان يعرف هو هذا رغم انها ما كانت لتختار هذه الطريقة في القيام بذلك.

لكنها سرعان ما أدركت فجأة انها لم تفكر حتى في إمكانية انه قد يكون مثلها، ضحية هو أيضاً، آه، كلا، فإذا كان ثمة مؤامرة عائلية، فهذا الرجل شريك فيها. انها واثقة من ذلك، فهو ليس من نوع الرجال الذين يمكن لأحد ان يتآمر ضدهم أو يشركهم في شيء خلافاً لإرادتهم، هذا اذا كان لحياتهم قيمة.

ولكن كان من الصعب ان تعلم ما الذي يدعوه إلى الموافقة على ذلك، استطاعت ان ترى بالضبط السبب الذي جعله يقبل الدعوة، ربما اعتبره بمثابة تحد يجد فيه تسلية وترفيهاً ويبعد عنه السأم عدة أيام وذلك على حسابها... وثارت في نفسها الشكوك.

لو بإمكانها فقط ان تحصل على بعض التفاصيل التي تؤكد ظنونها هذه.

فاخترقت الصمت قائلة بصوت أجش: «هل أنت متزوج؟»

ارتفع حاجباه بذهول ساخر، ثم ألقى عليها نظرة ماكرة، كانت النظرة تدعوها إلى المشاركة في هذه التسلية، ولكن بيني رفضت ذلك، ومضت تحدق فيه بحقد لا يعرف الصفح.

تلاشت الابتسامة ليحل مكانها اهتمام بطيء جعلها تتحرك مكانها بضيق، ثم اخذت ترتجف وقد تملكها التوتر لحاجتها إلى ان تعلم، وعادت تسأله: «هل انت متزوج؟»

هز كتفيه وقد جمدت أساريره فجأة: «كلا.»

هذا ما كانت سوزان فلين قد قالته... (أي رجل أعزب)... وبلغ بها الغضب درجة لم تكد تستطيع معها الكلام، فقد اذهلها ما شعرت به من مذلة، هذا إلى شعور بالخداع لها من أسرتها.

قالت: «اظن هنالك بند في ما ضللوك به.»

«هل هناك مزيد من الخطأ في وصف ميتشيل لك؟»

لم تبتسم وهي تقول: «ربما أنني لست معروضة في السوق لمن يريد علاقة.»

سرها وهي ترى لأول مرة، زولتان غارد يبدو وكأنه اجفل لقولها هذا.

ابتدأ يقول: «ان ميتشيل...» واذا بالحقيقة تتضح له، وإذا ببيني تدرك إلى اين سيتجه به الكلام وقد عاد الهزل يبدو عليه وهو يتابع قوله برقة: «لم يخبرني ميتشيل قط بأنك كنت بحاجة إلى قليل من تقدير الرجال، إذا كان هذا ما يقلقك، وقد استنتجت هذا بنفسي.»

مرة أخرى امتلك زمام المبادرة، باعثاً في كيانها الإضطراب، وسألته ذاهلة: «ماذا؟»

فتابع يقول بهدوء: «ليس عليك ان تخبريني بأنك لا تريدين علاقات، فهو واضح على مظهرك.» ثم اخذ ينظر إليها صعوداً ونزولاً وهو يقول: «ملابس سيئة... طباع سيئة، متروكة في البيت لتأدية اعمال المنزل لأنك لا تحبين الحفلات، كل الشواهد تقول بأنك معادية للنظم الاجتماعية، وهذا لا بد انه اختياري مادام مظهرك بهذا الشكل.» وهز كتفيه «من الواضح ان رأيك في نفسك هو سيء للغاية.»

استحال الارتباك في نفسها إلى غضب: «إذن، فأنت

تظنني بحاجة إلى بعض الإطراء لكي يحسن صورتي في نفسي؟ أو بالأصح مديح الرجال.»

ضحك زولتان وقد التمعت عيناه، ثم قال مصححاً: «بل تقدير الرجال.»

«وما هو الفرق؟ أنا...»

سكتت مجفلة وهي تراه ينهض عن كرسيه ثم يأتي إلى جانبها عند المائدة حيث جلس على الزاوية مؤرجحاً ساقه بينما اخذ ينظر اليها مفكراً، لم يلمسها، بل كان يضحك بصمت.

«اذا قلت لك انك مخلوقة صغيرة حلوة يخفق لمرآها قلبي، فهذا هو الإطراء، وإذا انا قلت لك ان لديك بشرة يتمنى المرء ان يلمسها وعينين خضراوين يتمنى لو يغرق فيهما، فهذا هو التقدير.»

التمع العداء في العينين الخضراوين وهي تقول: «ان ذلك هراء، هو أيضاً.»

فهز رأسه معنفاً: «لا بد ان وقتاً طويلاً مضى منذ سمحت لآخر رجل بأن يغازلك.»

«لا بد ان ميتشيل قد قال لك شيئاً ما.»

نظر اليها مفكراً: «كلا، وأؤكد لك ان هذا كله من استنتاجي الخاص، ولكن كل شيء قلته قد اثبت ذلك، لا يوجد رجال في حياتك، أليس كذلك؟ واظن ان ميتشيل وسيليا لا يوافقانك على هذا.»

فقالت بجفاء: «ان كل افراد أسرتي يظنون ان بإمكانهم تسيير حياتي بشكل افضل مما استطيعه أنا.» شملته بيني بنظراتها كما سبق وشملها هو بنظراته، ثم تابعت تقول: «ثم حصلوا الآن على فرد آخر، كما يبدو.»

ضحك رافعاً يديه بحركة استسلام، وهو يقول: «ليس انا، فانا لا اريد ان أسيّر حياتك، يا عزيزتي، لا أريد ان أسيّر حياة أي شخص.»

التمعت عيناها، ولكنها سرعان ما حجبتهما بأهدابها وهي تقول ساخرة: «إذن، فأنت لا تريد ان تغرق في عيني، يا استاذ غارد؟»

كانت قد استخفت بشأن خصمها، ما جعله يضحك قائلاً: «بل أريد، انما بصورة مؤقتة، وليس بصورة دائمة، فأنا لا أطيق دوام الشيء.»

قالت بلهجة لاذعة: «انك تدهشني.»

«وكما كنت قلت لي من قبل، ما هو شأني معك؟ فما انا إلا عابر سبيل.»

نهضت بيتي واقفة ثم نظرت اليه، كل غضبها، كل خيبة أملها وجرح كرامتها لمؤامرة أسرتها ضدها، كل ذلك قد ثار في نفسها فجأة: «انك لا تعجبني يا استاذ غارد، وانا لا اثق بك، وانصحك بأن لا تعتمد على أي شيء كان صهري المقبل قد قاله لك عني، فهو لا يعلم عني اكثر مما تعلمه انت، وانا على كل حال، سأخبرك عن نفسي بأمرين قد تجدهما يستحقان التذكر، الأول هو انني لا اعرف الألاعيب ولا استعملها، الثاني هو انك اذا حاولت ان (تهزني)، حسب تعبيرك، سأجعلك تشعر بالأسف البالغ لأنك عرفتني مرة.»

الفصل الثالث

ساد صمت، طويل لم تترك عينا زولتان اثناءه، وجهها وأخيراً زم شفتيه صافراً، ثم قال: «أنت لا تراوغين حول الموضوع الأصلي، أليس كذلك؟»

فدفعت بيني شعرها إلى الخلف، ثم نظرت في عينيه بثبات.

فقال: «لا بأس، فأنت لا تقومين بالاعيب، وأنا لا اعجبك كما انك لا تريدين علاقة معي، ولكن ما الذي يجعلك تظنين ان في ذلك أي خطر؟»

قالت على الفور: «أنا لا اظن ذلك.»

فهز رأسه قائلاً: «لا اصدق هذا، فما دمت تشعرين بالحاجة إلى تحذيري بمثل هذا الشكل الشامل فلا بد ان لديك على الأقل بعض الشعور بأن من المحتمل حدوث علاقة بيننا، وان كانت علاقة مختصرة، حيث انني سأرحل غداً.»

اضاف ذلك وهو يطلق تلك الضحكة الكريهة مرة أخرى.

رفعت بصرها إليه، وكرهت ما رأته في عينيه من هزل... واكثر من الهزل، فقد كان فيهما تأمل واضح، قالت بلهجة خطرة: «اذا انت عدت لذكر العلاقات مرة أخرى فسأسكب قدر الطعام فوق رأسك.»

عند ذلك قهقه عالياً، ثم رفع يديه يغطي بهما رأسه، هذه المرة، وهو يقول بسرعة: «انك مملة، انك مملة، لم اعرف امرأة مملة مثلك في حياتي.»

نظرت إليه قائلة بجفاء: «اخبر والدتي بذلك.»

رفع زولتان حاجبيه، وعندما لم يجب نهضت واتجهت إلى الفرن حيث حملت القدر الثقيل.

فسارع يقول: «سأفعل في أي وقت، يا سيدة برينكمان سأقول: «(ان لديك ابنة مملة للغاية).»

أعادت بيني القدر إلى مكانه وقد بدا عليها بعض الارتياح، فقد وجدت وزنه ثقيلاً رغم ان محتوياته نقصت قدراً لا بأس به، ولكن زولتان اضاف بمكر: «جميلة، انما مملة.»

ألقت عليه نظرة حانقة.

فقال لها: «هذا صحيح، كما تعلمين.»

ثم انزل ذراعيه وعقدهما فوق صدره، كان ما يزال جالساً على زاوية المائدة ومضى يتأملها بصمت، فسألته وقد تملكتها الشكوك إزاء هذا التفحص الصامت: «ما هو الصحيح؟»

«انك جميلة تماماً حتى اثناء غضبك.»

«شكراً.»

«ولكنك لا تصدقين كلمة من هذا.»

فقالت ببرودة: «انني اصدقك.» ولكن لهجتها لم تكن صادقة.

ذلك ان لهجته الممقوتة لم تعد تحتملها، تلك اللهجة التي تظهر انه يعرف كل شيء في العالم وانها ليست سوى طفلة.

بدت عليه البغتة، ما شعرت معه بالرضا، لقد أدركت، طبعاً، ان ليس هناك برهاناً افضل من هذا لتصرفاتها الصبيانية، ولكنها لم تهتم، وإنما جعلت الأمر أسوأ بقولها:

«انني فنانة، ولديّ مرآة، ولذا من الطبيعي ان اعرف انني جميلة.»

لكنها في داخلها تملكتها الحيرة من نفسها، ذلك انها لم تتصرف بهذا الشكل منذ ان كانت تلميذة فنون خالية البال، مليئة بالآمال والاحلام والبهجة بالحياة.

رفع زولتان حاجبه والضحك في عينيه: «آه، انك فنانة، لم يخبرني ميتشيل بذلك قط، بل قال انك مديرة مستشفى، ان مظهرك يدل على انك مديرة مستشفى.»

فقالت: «هذا حسن.»

هز رأسه قائلاً: «انك اكثر النساء اللاتي عرفتهن شذوذاً وإصراراً على الغي.»

فقالت بعذوبة: «هذا يملأني زهواً.»

نظر إليها بشكل بعيد عن التملق: «نعم، يمكنني ان أرى ذلك، هل تريدينني ان اخبر والدتك بذلك أيضاً؟»

لم تستجب لسخريته هذه وهي تجيبه بهدوء: «لا بأس، اذا رأيت ذلك ذا فائدة.»

بدت عليه الحيرة وسألها: «ذا فائدة في أي شيء؟»

إذن، فهو لن يعترف بالمؤامرة؟ حسناً، ان هذا لا يدهشها في الواقع، ثم قالت: «فائدة من منعها من اتخاذ فكرة خاطئة.»

قطب حاجبيه: «أي نوع من الأفكار الخاطئة.»

ترددت لحظة، ثم قالت: «ان العرس يقود إلى عرس آخر.»

توقف زولتان عن أرجحة ساقيه، وهو يسألها مستفهماً: «عرس؟»

أجابت وقد تذكرت كلام سوزان فلين: «تأثير العرس.» وشبكت ذراعيها على صدرها شاعرة فجأة بالبرد.

قال وهو يسير نحو النافذة ينظر إلى الخميلة المظلمة التي ترسل بظلالها وبرودتها إلى المطبخ قال: «آه، ذلك التأثير.»

«هل سمعت به من قبل؟»

فألقى عليها نظرة هازلة: «ان هنغاريا لا تختلف عن بقية العالم، في اي عرس تطوف السيدات كبيرات السن على الفتيات العازبات، وهن يقلن لهن (عسى ان تكوني أنت التالية) انها الطبيعة البشرية.»

تمتمت تقول: «الطبيعة البشرية تحتاج إلى بعض الاهتمام.»

«دون شك، وعلى كل حال، فليس عليك خطر مني، فانا لا افكر في الزواج، كما انني لا اريد ان تكون علاقاتي هجومية.»

عندما رآها تحدق اليه، قال وعيناه تلمعان: «اعني ان اغواء القنفذ يستغرق اكثر من أربع وعشرين ساعة، حتى بالنسبة إلى من له مثل جاذبيتي الشهيرة.» وابتسم بلطف: «ومهما كان اهلك اخبروك به، فليس لدي اكثر من أربع وعشرين ساعة، ذلك ان لدي اجتماعاً في بروكسل يوم الاثنين وقبل ذلك عليّ ان اعد محاضرة، فكوني مرتاحة إذن، لأنك آمنة تماماً... مني على الأقل.» واضاف جملته الأخيرة بلهجة لاذعة.

قالت وقد تملكها غضب عنيف: «آه...» ولكن زولتان لم يلاحظ ذلك، فقد كان يحدق بإمعان إلى خارج النافذة، ثم قال بسرعة مفاجئة: «اطفئي النور.»

«ماذا؟»

«الأنوار، اطفئيها.»

ابتدأت تعترض، ولكن شيئاً في صوته جعلها تطيعه، فاطفأت الأنوار مكرهة، وفي الظلام الدامس الذي ساد المكان، وقفت جامدة وقد شعرت فجأة بالخوف.

ثم قال بلهجة رقيقة: «هل قلت إن كل شخص هو خارج المنزل مع العروس؟»

قالت بصوت وكأنه ليس صوتها: «كل شخص ما عدانا، نحن الاثنين.»

«إذن فأولئك الاشخاص الذين يعبرون الفناء ليسوا من المدعوين هنا؟»

أشار بيده بسرعة، ورأت هي حركته في الظلام، الحت عليها غريزتها بالوقوف جامدة حيث هي، ولكنها كانت تريد ان تعلم ما الذي كان ينظر اليه، فذهبت لتقف بجانبه وهي تكتم سخطها، ذلك ان مزاجها لم يكن قد تحسن بعد عندما أمسك يدها دون تردد، وأشار بها بصمت.

أوشكت ان تحتج، وإذا بها تجمد مكانها، كان على صواب، فقد كان هناك ثلاثة اشخاص يتحركون بسرعة على العشب حيث كانت اطواق لعبة ستثبت غداً، كانوا يرتدون ملابس داكنة ويحملون حقائب تشبه حقيبة زولتان.

انحنى وقال هامساً في اذنها: «هل يعلم احد بأنك هنا؟»

كان قريباً منها إلى حد شعرت معه بالضيق، ولكن لم يكن هذا وقتاً مناسباً لتقول له ذلك، فهزت رأسها نفياً وهي تبتلع ريقها، ثم تقول: «لا أدري، ربما لا، قد تكون والدتي قالت ان الجميع سيذهبون مع سيليا، اعني انها ربما لم تجد حاجة لتذكر عدم ذهابي لأنني لا اذهب أبداً إلى مثل تلك الأماكن.»

«إذن، فكل شخص يريد ان يسرق المنزل، سيظنه خالياً هذه الليلة؟»

أومأت برأسها قائلة: «إلا من هدايا العرس.»

«ماذا؟»

«انها كلها موضوعة في غرفة المكتبة، لقد قلت لوالدتي ان هذا عمل سخيف، ولكنها قالت ان الناس يحبون ان يروا هدايا الزفاف.»

«أهي ثمينة؟»

فكرت قليلاً، ثم اجابت: «لا أدري، ربما بعضها. ذلك ان ميتشيل رجل ناجح جداً ورئيسه في العمل غني، كما ان سيليا عارضة أزياء ناجحة هي أيضاً، ولهذا قد يكون بين الهدايا مجوهرات، فأنا لم انتبه إلى ذلك كثيراً...» وابتلعت ريقها: «الشرطة... سأستدعي الشرطة.»

لم يرفع هو عينيه عن الأشخاص المسرعين، ولكنه قال: «يمكنك ان تحاولي.»

فانطلقت دون ان تهتم باصطدامها بزاوية منضدة الردهة، وعندما رفعت سماعة الهاتف، لم تجد له حساً على الاطلاق، سألها بصوت خافت: «هل الخط مقطوع؟»

أجابت وقد ابتدأت ترتجف: «نعم.»

«هل هناك أي بديل؟ هاتف خليوي؟ هاتف سيارة؟»

فهزت رأسها نفياً: «والدتي لديها هاتف خليوي ولكنها لا بد اخذته معها، كعادتها على الدوام.»

لم يضيع الوقت، وهتف بها يسألها: «إلى أين تظنين اولئك الرجال ذاهبين؟ هل إلى الغرفة حيث توجد الهدايا، مباشرة؟»

عادت إليه وهي تدور حول المنضدة بحذر هذه المرة،

وارتجفت وهي ترى رجلاً واحداً من الرجال مازال ظاهراً للعيان، وعاد يسألها: «من اين تظنينهم سيدخلون المنزل؟»

حاولت ان تضع نفسها في مكان اللصوص: «ليس المكتب، انه في الطابق الأول، قد يكون غرفة الجلوس، فهناك نوافذ عريضة، لا تحتاج إلى ان يتسلقوها.»

«هل هناك جرس تنبيه من اللصوص؟»

فقالت: «انه لا يعمل ما دمنا في الداخل، كما تعلم.»

فقال: «هذا صحيح، ولكنهم لا يعلمون ذلك، ولهذا فإن أول ما سيفكرون فيه هو تعطيل جرس الإنذار هذا، أين يوجد؟»

«أتعني معدلته؟ لا أدري، لقد وضعوا شريطاً خلال مسكبة أزهار، اظن..»

«ايمكنك ان تقفلي باب غرفة الجلوس في الردهة؟»

«نعم، ولكن...»

فقال: «دعينا نذهب إليه بينما هم ما زالوا يقطعون اشرطة جرس الإنذار.»

«ولكن...»

«كلا، هذا لن يوقفهم عن عملهم، أو حتى يؤخرهم طويلاً.» تمتم بهذا وكأنه يوافقها على شيء قالته: «ولكننا سنكسب بعض الوقت نفكر فيه في ما علينا ان نعمله.»

«ما سنعمله؟ ها... انك لم تعمل حتى الآن سوى اعطائي أوامر.»

فتمتم يقول: «لا تكوني متعبة، هيا، ايتها الفتاة الطيبة.»

فأخذ صوتها يرتفع: «متعبة؟»

«انني اعلم ان كلمتي هذه ازعجتك، ولكن دعي احتجاجك هذا إلى ما بعد.»

كان زولتان قد سار إلى باب المطبخ، كان يتحرك بخفة القط ودون صوت، أشار اليها بأن تتقدمه إلى غرفة الجلوس حيث بدا الباب مفتوحاً في الظلال، أسرع إلى الباب بصمت، ثم اغلقه مقفلاً إياه بالمفتاح، ثم اخرج المفتاح هذا ووضعه في جيبه وهو ينظر حوله.

كان والدها قد ابتاع منضدة ثقيلة ووضعها بجانب الباب الخارجي فسار زولتان نحوها وحاول ان يعرف حجمها، ومالبث ان انحنى وحملها امام نظرات بيني المذعورة، ثم عاد فوضعها خلف الباب بالضبط.

قال: «هذا يعطينا بعض الوقت.» أحست به يقول هذا ضاحكاً... حتى ان انفاسه لم تكن ثقيلة إثر حمله الثقيل هذا.

«هل هنالك أبواب أخرى لغرفة الاستقبال؟»

لم تكن بيني قد فكرت في ذلك. «هنالك ما يشبه منفذاً ذا قنطرة يؤدي إلى غرفة الطعام، ان فيه خزانة كتب، وهذه الخزانة هي باب....»

فقاطعها قائلاً: «لا بأس، خذيني إلى غرفة الطعام.» يا له من رجل متغطرس بغيض، والأسوأ من ذلك انه كان على صواب، فذهبت معه، وهي تغلي من الغضب، إلى حيث اقفلوا ذلك الباب أيضاً، ثم وضعوا المائدة والكراسي خلفه مكونين بذلك عقبة حقيقية، ثم تبعته عائدة بصمت إلى المطبخ.

وهناك اقفل زولتان الباب أيضاً، ثم وقف مستنداً بظهره وهو يتنصت.

راودها خاطر مفزع، فقالت بصوت مختنق: «ماذا لو كان لديهم مسدسات؟»

فهز رأسه قائلاً: «سلب مسلح؟ هذا يحدث في شوارع نيويورك، ولكنه ليس معروفاً في الريف الانكليزي.»

فاقتربت منه خائفة: «ولكن...»

«لو فكر اللص بأنه قد يحتاج إلى مسدس، فهو يحمله، ولكنه لا يحتاج اليه في منزل خالٍ، وإذا صادفه سوء الحظ وقبض عليه، فان الحكم عليه، إذا كان مسلحاً، يتضاعف ثلاث مرات، فكري في ذلك، يا حبيبتي.»

جرحت كرامتها محاضرته هذه، ما جعلها تكف عن الإرتجاف، وتبتعد عنه، ولم ينتبه زولتان إلى ذلك وهو الغارق في التفكير في المشكلة الحاضرة.

قال بلهجة متأملة: «والآن، من اين يمكن ان يكونوا قادمين؟»

ارتجفت وهي تقول بحيرة: «اتعني انهم من ابناء المنطقة؟»

«كلا يا عزيزتي، اعني اين تركوا سيارتهم، انهم لم يأتوا إلى هنا من المحطة سيراً على الأقدام، كما انهم لم يصلوا بالسيارة إلى امام الباب.»

«آه، هذا صحيح، ثم هنالك جرس عليك ان تسكته إذا صعدت في طريق المنزل، وإلا سمعه الحراس في كوخهم.»

فكرت لحظة مقطبة الحاجبين، ثم تابعت تقول: «قد يكونوا جاؤوا من خلال الغابة، فهناك ممر يخترقها.»

سألها بسرعة: «هل يتسع لسيارة فان؟»

حاولت ان تتذكر: «اظنه يتسع لسيارة فان صغيرة على الأقل.»

فقال: «هذا يعني انهم اوقفوا السيارة في الغابة، ثم تسلقوا سياجكم ثم عبروا الفناء إلى هنا.»

كانت بيني قد ابتدأت ترى إلى أين سيؤدي كل هذا،

فقالت تحذره بسرعة: «كلا، انك لا تستطيع ذلك.» ولم تكن تتحدث عن نظريته. «فقد يكونون تركوا واحداً منهم في الفان للمراقبة، عند ذلك سيعودون ان كان بإمكانهم...»

«هس...»

ولمس وجنتها ينبهها، قفزت هي وقد اخذ قلبها يخفق بعنف وسرعة وقد تملكها الضيق، ورغم انهما كانا يتحدثان همساً، إلا انها مازالت تسمع لهجة الهزل في صوته.

قال: «ولماذا يتركون واحداً منهم للحراسة؟ انهم لا يعرفون ان ثمة أحداً في المنزل.»

كانت بيني قد ابتدأت ترتجف مرة أخرى: «انهم سرعان ما يعرفون عندما يرون العقبات التي وضعناها امام الأبواب لتونا.»

فقال ببرودة: «وهذا هو السبب الذي يدفعني إلى الذهاب إلى الفان بسرعة.»

وإذا بصوت تحطم شيء يتناهى اليهما من بعيد متبعاً بصوت قرقعة زجاج.

فقال زولتان: «حسناً، انهم في الداخل.»

تملكتها الحيرة وهي تسمع صوته هادئاً، بل اكثر من هادىء... كان مسروراً وكأنه يستمتع بمباراة نكاء وظرف، حاولت ان تنظر اليه في الظلام، ولكنها لم تستطع تمييز ملامحه، ولكنها رأت توتر فكه الحازم.

قالت له: «ارجوك، لا تخرج إلى هناك.» لكنه كان قد اخذ يسير نحو باب المطبخ بخفة القط.

اندفعت خلفه، فاستطاعت هذه المرة تجنب الأثاث، ثم تمسكت بذراعه وهي تهمس بعنف: «انك لن تذهب إلى هناك من دوني.»

قال لها: «انك ستكونين هنا آمنة تماماً...»

«انا سأكون كذلك ولكن ليس انت.» أرادت ان تصيح به، فالحديث بعنف في مثل هذا الصوت الخافت سبب لها توتراً في حلقها، فهناك من العقبات قدر ما يوجد هنا، ومن دوني قد تسقط في قناة للري، وما أشبه، وقد تجعلهم يهرعون اليك، انك بحاجة إليّ، انني قادمة ولن يمكنك منعي.»

لم يكن يريدها ان تأتي، ولكنه لم يتعلم المنطق عبثاً، فقال كارهاً: «لا بأس، ولكن عليك ان تمتثلي لما اقول، هل يوافقك هذا؟»

«ولكن...»

كرر يقول وهو يمسك بمعصمها بيد من حديد: «هل يوافقك هذا؟»

تراجعت بيني عن احتجاجها وقالت: «لا بأس.»

«هيا بنا إذن.»

أمسك بيدها، وتمتم قائلاً: «يجب ان لا يضيع احدنا الآخر، أما زلت تريدين المجيء معي؟»

فقالت وهي تصرف بأسنانها: «انني قادمة.»

بعد لحظة كانا يخرجان من الباب الخلفي، كان يتحرك بسرعة ولكنه مع ذلك لم ينس وضع المتراس في الباب خلفهما، وبهذه الطريقة لن يتمكن احد من اللحاق بهما، وشعرت بيني بأنها بين يدي رجل لا يترك شيئاً للصدف، ما جعلها تشعر نحوه بالإحترام بالرغم عنها.

كان الباب الخلفي يؤدي إلى منطقة مبلطة بالحصى، فتصاعد صوت خطواتهما عالياً مفزعاً بالنسبة إلى بيني، وكأنه صوت طلقات رصاص في الظلام، فوقف ثم جذبها إلى جانبه وهو يقول: «علينا ان نسير على أرض معشوشبة،

والأفضل ان يكون ذلك تحت الأشجار وذلك قبل ان ندور حول البيت، هل هذا ممكن؟»

وعندما أومأت بالإيجاب، وضعها امامه برفق وهو يقول: «أريني الدرب.»

سارت امامه وقلبها يخفق، سارا على اطراف الأصابع عدة خطوات إلى حيث احتميا بشجرة كرز.

قالت له: «هذا ما اعتدنا ان نقوم به عندما كنا اطفالاً.» كانت اسنانها تصطك وهي تشعر بالبرد والخوف. ثم اطلقت ضحكة متوترة: «كنا نزاول لعبة (قطاع الطرق)...» وابتدأ صوتها يرتفع.

شد زولتان على يدها، فتراجعت بسرعة ووقفت بجانبه وهي ترتجف كحيوان اصيب برصاصة صياد، فجذبها نحوه بقوة، لم يتكلم، بينما اخذت هي عدة انفاس طويلة، وما لبثت ان شعرت بعدها بهستيريا الخوف قد اخذت تتبدد، واخيراً تمتمت تقول: «انا آسفة.»

أجابها هامساً في اذنها: «ليس ثمة ما يستدعي الأسف، هل انت مستعدة لمتابعة السير؟»

أومأت راجية ان لا يتمكن من رؤية ما تعبر عنه ملامحها، كانت شفتاها متوترة ومضغوطة في خط مستقيم، كما كان فكها مطبقاً صارماً وهي تجتهد في السيطرة على خوفها، لم تكن مزهوة بنفسها، من يصدق انها امرأة عاملة هادئة كفؤ إذا رأوها الآن وهي ترتجف بهذا الشكل؟

لم يمسك بيدها مرة أخرى وإنما تركها تسير امامه تريه الطريق، فتدور حول الفناء بحذر تحت ظلال الآجام والشجيرات خلف مساكب الأزهار.

تمتمت بيني تقول: «سيجن البستاني إذا رأى آثار اقدامنا على مساكب أزهاره، فقد ناح بما فيه الكفاية عندما جاء العمال لينصبوا السرادق، فهو منذ اسابيع يجهز الحديقة لحفلة الزفاف.»

ضحك زولتان بهدوء وهو يقول: «علينا كلنا ان نتألم احياناً.»

تصاعد صوت ارتطام من داخل المنزل، فنظرت من فوق كتفها بفزع، كان المقتحمون قد أرخوا الستائر في غرفة الجلوس ولكن كان من الواضح انهم اضاؤا الأنوار، وأدركا من الأصوات التي كانت تصل اليهما انهم قد اكتشفوا العوائق التي وضعاها في طريقهم خارج الغرفة، وارتجفت قليلاً.

ألقى زولتان عليها نظرة سريعة، ثم سبقها موسعاً من خطواته، ويبدو انه قد لاحظ الفجوة في السياج التي كانت هي تقصدها، لم يكن من السهل الزحف تحت الأجمات المتشابكة في الظلام، واصابتها عدة خدوش واشواك تعلقت في شعرها وقميصها، توقف عند فجوة السياج، ثم عاد يمد يده اليها، فأمسكت بها شاكرة، ثم وثب بخفة من فوق السياج وقد اخفته النباتات تقريباً، ثم جذبها خلفه.

عندما اصبحا داخل الغابة، وقف جامداً وهو ينظر حوله، كانت ظلال الأشجار تمتد بشكل غمرهما تماماً، وابتدأت بيني تشعر بالأمان.

قالت: «من هنا، ذاك هو الطريق.»

كان زولتان على حق، إذ حالما وجدا الطريق وجدا سيارة الفان، ولم يكن اصحابه قد حاولوا اخفاءه تحت الأشجار.

قال زولتان: «انهم على ثقة تامة.» ودار حول الفان

مجرباً ابوابه، استطاع فتح الباب الخلفي إثر ضغط خفيف انفتح بعده محدثا صريراً.

فقال: «ان المفصلات بحاجة إلى تزييت.» ووضع يده على أرض الفان ثم قفز إلى داخله.

فكرت بيني في تحذيره، ولكنها عادت فسكتت، فقد فكرت في انها لم تر قط في حياتها رجلاً بمثل كفاءته في العناية بنفسه.

كان هو يقوم بفحص عام للفان، ثم قال معلناً عدم استحسانه: «انهم غير محترفين، انهم شبان انتهازيون، ونلك من النظر إلى هذا الفان، فاللص الماهر لا يفعل هذا.»

ثم خرج من السيارة حاملاً علبتين من الكحول الخفيفة، نظرت بيني اليها وأجفلت، ثم قالت: «انهم سيبعثون الفوضى في المنزل، أليس كذلك؟ اعني إذا لم يكونوا محترفين، ألا تظنهم سيشعرون بالحقد؟»

«هذا ممكن.»

فقالت: «آه، هذا ما تحتاجه والدتي، وقبل عرس سيليا مباشرة.»

ضحك زولتان، ولكنه نظر اليها بفضول: «يبدو ان والدتك لا تستعمل الفلسفة مثلك.»

قالت بيني متأثرة: «انها أمضت عاماً كاملاً تستعد لهذا الزفاف.»

فقال بمرح: «إذن فالأفضل ان نوقفهم عند حدهم قبل ان يحولوا المنزل إلى مكب للقمامة.»

حدقت بيني اليه وقد توزعت مشاعرها بين الخوف والرجاء: «ماذا تعني؟»

استند إلى جانب الفان، فبدا فارع الطول في ظلال ضوء القمر.

بدا لها كأحد ابطال الاساطير في وقفته هذه، بينما شعرت بنفسها صغيرة خائفة حتى الموت، وقال هو دون ان يبدو عليه اي اهتمام: «ان امامنا الخيار، اما ان نخرب الفان فلا يتحرك، ثم نذهب إلى اقرب جيرانكم حيث نستعدي الشرطة.»

ابتلعت ريقها ثم سألته: «وإما؟»

«وإما ان نعود إلى البيت ونمنعهم من متابعة التخريب.»

«أوه...»

رأته ينظر اليها هازلاً.

وتأكدت من ذلك عندما قال: «أو الاثنين معاً.»

«وكيف؟»

قال بلطف: «انت تذهبين للاتصال بالهاتف، بينما اعود انا إلى البيت لأوقف ذاك الشغب.»

لكن بيني كانت تهز رأسها حتى قبل ان ينهي حديثه: «هذه سخافة، إذ لا يمكنك العودة إلى هناك وحدك، فهم ثلاثة على الأقل.»

في الظلام، رأته يهز كتفيه فقالت له متهمة: «انك تستمتع بذلك.»

لم يحاول إنكار ذلك وهو يقول: «أنا لم استمتع بتسلية كهذه منذ سنوات.»

تبدد التوتر الذي كانت تشعر به وقالت له ثائرة: «انك لا تعرف المسؤولية على الاطلاق، فأنت تتصرف إزاء كل هذه الأمور وكأنك تلميذ مدرسة، كان علينا ان نركض طلباً للمساعدة حالما رأيناهم يسيرون في الفناء.»

فقال بهدوء: «كنت اظن اننا قمنا بانجاز جيد.»

حملقت فيه، لم يستطع ان يراها في الظلام، طبعاً، ولكن هذا أراح شعورها، فقالت: «الأمر ليس لعبة.»

«كلا، انه اكثر من مجرد اللهو.»

«كن جاداً.»

فقال دون اهتمام: «لا بأس، اذهبي إذن رأساً إلى جيرانك، اما انا فسأتحدث قليلاً مع اولئك الفتيان عن الخطأ في مسلكهم ذاك.»

فقالت بحزم: «لا يمكن ان تعود وحدك إلى البيت.»

«انني قادر على ذلك تماماً...»

فقاطعته: «كلا.»

«ولكن قبل ان يصل رجال الشرطة إلى هناك يكونون هم قد رشوا جدران غرفة الاستقبال بالدهان.»

هبت في وجهه قائلة: «وماذا تظنهم سيفعلونه غير ذلك إذا انت ذهبت إليهم وحدك؟ انك لا تعلم ما إذا كانوا مسلحين أم لا.»

ارتجفت مرة أخرى، إذ كان بإمكانه ان يرى ذلك، كما رأت فقد كان له كل الحق في ان يظنها اكثر النساء فزعاً وجبناً... فكادت تصرخ، ولكنها بدلاً من ذلك، قالت بتوتر: «ألا يمكنك ان تتعامل مع هذا الأمر بجد ولو دقيقة واحدة؟ علينا ان نرحل نحن الاثنين.»

«وندع والدتك تصاب بالهستيريا لاجل عرس شقيقتك؟»

تمزقت مشاعر بيني بشكل مخيف، فقد كان امامها خيار بين مواجهة والدتها لورا اليائسة، أو مواجهة ثلاثة لصوص قد يكونون مسلحين، لم يكن أي من الاحتمالين مقبولاً،

ولكنها ما لبثت ان رأت ان أسى والدتها هو اكثر دواماً من أي ضرر آخر، وهكذا قررت بيني اختيارها.

«سآتي معك.»

فأجفل، ولم تر أياً من علامات الرضا على وجهه.

«ولكن...»

فقالت: «لا اريد جدلاً، فمهما كان علينا ان نفعل، سنفعله معاً.»

مضت لحظات من الصمت تصارعت اثناءها الارادتان، وانعكس ضوء القمر على شعره، يحيله إلى فضة، وفي الظلال كانت عيناه تلتمعان كشفرة الحسام، وتخيلت لحظة انهما على ظهر كوكب آخر... غريبان يعرفان بعضهما البعض اكثر من حبيبين، واحتبست انفاس بيني. ثم اطلق ضحكة خشنة.

«سأنكرك بذلك.»

«ماذا؟» كانت هذه الصورة في ذهنها، من القوة، بحيث لم تستوعب ما قاله.

«فلندع هذا الآن، فلا صلة له بما لدينا حالياً.»

كان لديها شعور بأنه كان يضحك لنكتة خاصة، واوشكت ان تسأله تفسيراً عندما رأت أنوار غرفة الاستقبال من بعيد تتوهج للحظة قصيرة، وعندما اخذت تحدق في ذلك، تابع هو نظراتها، ثم قال بسرور: «آه، هذا تطور جديد.»

ابتلعت بيني ريقها، كان هناك شخص يسير في الفناء، وكان مسرعاً قاصداً مباشرة المكان الذي كانا يقفان فيه في ظل سيارة الفان، فقال بصوته الضاحك الكسول: «والآن، هذا شيء مفيد تماماً.»

فشهقت قائلة: «مفيد؟»

فقال يذكرها بالقول المأثور: «(فرّق تسد). هيا نعد معاً إلى الغابة.»

لم تعارض، ربما لم تكن تفهم ما كان يقوم زولتان به ولكن من الواضح انه كان يعرف ذلك تماماً، وعند إشارته الصامتة لها، انسحبت إلى الغابة حيث توارت تحت فروع الاشجار، ثم اخذت تنظر إلى الفان.

لم تر زولتان في أي مكان، ولكن الباب الخلفي كان يتأرجح بخفة، لا بد انهما نسيا اغلاقه، وتكدرت لهذا الخاطر، واخذت تقيس المسافة، هل يسمح لها الوقت بأن تسرع لاغلاق ذلك الباب قبل وصول اللص؟

ولكن كلا، فقد كان قد وصل وها هوذا يتسلق السياج، حتى انه لم يتوقف عندما رأى الباب المفتوح، بل صعد رأساً إلى مقعد القيادة ثم اخذ يحاول اشعال المحرك.

رأت بيني ظلاً يتحرك تحت الفان، ولكنها لم تكن متأكدة... نعم... ام لعله...؟

اخذ قلبها يخفق بعنف، واخذت تحدّق إلى ان شعرت بالم في عينيها، وإذا بها تراه مرة أخرى.

خرجت ساقا زولتان الطويلتان من بين الظلال، كان الرجل يخرج من الفان بصعوبة حاملاً بين ذراعيه معدات بدت ثقيلة، وإذا بذراع زولتان تتحرك ناحيته بسرعة. رفعت بيني يدها إلى فمها ذاهلة وهي ترى الرجل يسقط دون ان يحدث صوتاً، وصدرت عن زولتان شخرة خافتة وهو يمسك بما كان الرجل يحمل من اشياء، وضع الأشياء تلك على الأرض بحذر، ثم ركع بجانب اللص على ركبة واحدة وفك حزامه وقيد به يدي الرجل إلى خلف ظهره.

ركضت بيني اليه من تحت الأغصان وهي تهتف مستنكرة: «ماذا فعلت؟»

فالتفت اليها ثم وضع اصبعه على شفتيه، وكانت عيناه تلمعان في ضوء القمر.

فهمست بغضب بالغ: «انك آذيته.»

فرد عليها هامساً: «سيعيش.»

لم تر بيني عليه أثراً من قلق أو ندم، فقالت: «لم يكن بك حاجة لاستعمال العنف.»

فرمقها بنظرة ساخرة، ولكن كل ما قاله هو: «افتحي باب الفان.» وذلك بنفس الصوت غير المكترث.

أوقف الرجل المتراخي قدميه، ثم حمله على كتفه، ثم نظر إلى بيني وقال ساخراً: «سيرتاح اكثر اذا مددناه على أرض السيارة.»

استدارت على عقبيها وفتحت باب الفان.

«شكراً لك.»

رأته بيني يصعد داخلاً إلى السيارة دون ان يبدو عليه أي جهد على الاطلاق، ولسبب ما، لم تجد في هذا ما يبعث في نفسها الارتياح.

وضع هو حمله، وأدار رأس الرجل يتفحص تنفسه، وعندما اطمئن، نزل بخفة إلى الطريق المغطى بالعشب، وهو يقول بمرح: «ها قد سقط منهم واحد، ومازال اثنان، عودي إلى مكانك من فجوة السياج وسنرى ما سيحصل بعد ذلك.»

ذهبت وهي تفكر مكتئبة، في لهجته الوقحة ووضعه الخطر للغاية ولكن هذا لم يكن هو الوقت المناسب لتقول له ذلك، أو أي شيء آخر.

مضى وقت بدا دهراً لم يحدث فيه شيء آخر، واستحال النسيم إلى ريح باردة حين غطت السحب القمر، وتمنت لو كانت اقرب إلى زولتان، أو لو انها تعرف أين هو.

لم يكن في الغابة شيء يتحرك ما عدا الأغصان ودواب الليل الصغيرة، أتراها وحدها هنا؟ وتساءلت لحظة عما إذا كان قد تركها في الغابة وعاد إلى البيت ملاحقاً اللصين الآخرين. لكنها عادت فرأت ان من غير الممكن أن يتخلى عنها.

لكن الذهول تملكها وهي تعجب لهذه الثقة منها به، ولكن هذا هو الواقع، فقد كانا غريبين ومع ذلك كان كل منهما يعرف ما في اعماق الآخر، وحدثت نفسها بأن هذا جنون.

لكن لم يكن لديها وقت لمزيد من التأمل، على كل حال، لأن ثمة تحركات كانت قادمة من المنزل مرة أخرى، وهذه المرة كانا هما الاثنان.

لم يكونا هائمين في سيرهما كالمرة الأولى، ما جعل بيني تكبت صرخة فزع كادت تصدر عنها.

تسلقا السياج بحذر، وكان الواحد منهما ينظر حوله يحرس رفيقه. لن يكون بمقدور زولتان ان يهزم هذين الاثنين معاً ملقياً إياهما على الأرض غائبي الوعي، دارا حول الفان بنشاط واستعداد لمجابهة أي شخص.

لكن لم يكن هذا كل ما في الأمر، ذلك انهما كانا يحملان أشياء في ايديهما، وظنت بيني في البداية انها معدات وما أشبه... وربما مفاتيح أو ادوات للخلع أو للجذب، ولكنها ما لبثت ان تجمدت في مكانها عندما أدركت كنهها، ذلك انها لم تكن رأت قط بندقية في حياتها، تمنت من كل قلبها لو ان

زولتان يبقى كامناً مكانه ويدعهما يذهبان، ولو انهما هي وزولتان لم يتدخلا في الأمر، ولو انها اصرت عليه للذهاب إلى الشرطة... ولو...

عند ذلك تحرك احد الظلال، واصطكت اسنان بيني وودت لو تغمض عينيها فلا ترى المذبحة التي كانت واثقة من انها ستحدث، ولكنها لم تستطع.

اجفلت وهي تدرك انه اصبح الآن ثلاثة اشخاص يدورون حول الفان بحذر، وعندما اخذت تراقب، غير مصدقة، واحداً منهما بدا وكأنه يضع يده على كتف آخر، وعندما التفت هذا سدد اليه إحدى تلك الكلمات الأفقية الصامتة التي كانت رأتها من قبل، انتفضت بيني... ولكنها هذه المرة، لم تحتج على ذلك.

وفجأة، تبدد ذلك السكون الحذر، فقد لخذت تصدر من داخل الفان ضربات، كما اخذ هو نفسه يهتز، وأدركت هي مجفلة أن اللص الأول لا بد عاد إلى وعيه، واجفل الشخصان لهذه الأصوات فالتفت واحد منهما وإذا به وجهاً لوجه مع الآخر، ورأته بيني يرفع يده بذلك الشيء الذي كانت رأته فيها، ودون وعي منها، كانت تندفع من تحت الأشجار وهي تصرخ.

جمدت البندقية لحظة، ثم تحركت متوجهة إلى ناحيتها، ثم اخذت تتنقل غير واثقة من مصدر الصوت، حدث هذا في جزء من الثانية ولكنها كانت كافية، فقد اندفع الرجل الآخر فوقه ومن ثم اخذا يتعاركان منقلبين على تلك الأرض المغطاة بأوراق الشجر.

تذكرت بيني بفزع، ان هناك بندقية أخرى، ذلك ان الرجل الذي كان سقط، كان يحمل بندقية، واخذت تنظر حولها

بيأس، وإذا بشعاع من ضوء القمر يقع على شيء يلمع، فانقضت عليه، كان بارداً بشع المنظر ولكنها رفعته إلى حيث أمسكت به تضغطه إلى صدرها بشدة.

كان الرجلان يتقلبان فوق الأرض وقد تشابكت أذرعتهما وسيقانهما، وفكرت بيني بلهفة في غرفة الحارس وهاتفه، لكنها لم تستطع ان تترك زولتان وحده. فقد يحتاجها أو على الأقل يحتاج السلاح الذي لديها... هذا إذا عرفت كيف تستعمله.

سمعت شخيراً بشعاً، ثم صوت ارتطام سقط بعده احد الرجلين على ظهره ومن ثم انفصلت الأطراف عن بعضها البعض، فبقي احدهما دون حراك بينما وقف الشخص الطويل واخذ ينظر إلى الجسد الطريح.

كانت بيني تتحسس الطريقة الصحيحة في إمساك البندقية، بينما لم يلتفت الرجل نحوها، فقد بدا انه لم ينتبه اليها.

ازدردت ريقها ثم ادارت البندقية نحوه، وإذا زولتان غارد يقول بصوت ضاحك: «لا تطلقي النار، فهناك الكثير من التنظيف والتنظيم علينا ان نقوم به قبل حفلة الزفاف.»

قفزت مجفلة، تاركة البندقية تقع من يدها وقد تملكها مزيج من الإرتياح والغضب.

«انك...»

«اعطيني حزامك، يا عزيزتي، انني بحاجة إلى تقييد هذين القردين.»

ففكت حزامها وناولته إياه.

تناول الحزام منها وقيد به الرجلين على الأرض ثم عاد إليها.

سألته بصوت جاف: «اتريد قطعة أخرى من ملابسي؟»
قالت ذلك وهي ترتجف دون إرادة منها، ولكنها كانت حريصة جداً على ان لا تدعه يرى ذلك.

فضحك ورأت اسنانه تلمع في ضوء القمر: «ليس الآن.»
ومد يده يرفع بإصبعه ذقنها رافعاً بذلك وجهها لتنظر اليه.

انني امرأة ناضجة مستقلة، فكيف يجرؤ على ان يرفع ذقني بهذا الشكل وكأنني تلميذة مدرسة؟ وكيف يبلغ بي الغباء ان اجعله يفعل ذلك دون ان اتحرك...؟ احذت تحدث نفسها بذلك غير مصدقة ما يحدث، ثم دفعت يده عن وجهها متراجعة إلى الخلف، ولكنها لسوء الحظ كانت قد نسيت البندقية فارتطمت هذه بساقها، ما جعلها تكاد تتعثر لولا ان مد زولتان يده يزيحها من طريقها وهو يقول ضاحكاً وكأنه يخاطب والدتها: «اذا كانت هذه هي ابنتك التي تجلب السأم إلى النفس، يا سيدة برينكمان، فلا اظن ان بإمكاني ان اكون نداً لبناتك الأخريات.»

الفصل الرابع

قالت وهي تبتعد عنه: «يجب ان استدعي الشرطة.»
حتى بعد أن ابتعد عنها مسافة عدة اقدام، مازالت تشعر بدفء نظراته، وتملكها الذعر، مجرد انها تصورت نفسها منجذبة إليه، جعلها تجفل كمن مسه النار، ورأته ينظر اليها وقد لحظ ذلك.

لكن كل ما قاله هو: «هذه فكرة جيدة، يا امرأة.» واخذ يحدق إلى الجسدين الممددين على الأرض، وكان واحد منهما قد اخذ يتحرك وهو يئن، ثم قال لها: «سأحبس هذا القذر في الفان، ثم ألحق بك.»

فعل ذلك ولكن ليس قبل ان تتحدث بيني مع ضابط الشرطة المناوب الذي كان الملل يتملكه والذي سرعان ما فارقه ملله ذاك وهو يسمع اخبارها، فقال لها باستحسان: «يبدو ان لديك عصابة صغيرة منظمة، انتظري.»

وسمعت قرقعة في الخط عاد بعدها اليها، «بعد عشر دقائق ستكون السيارة عندك.»

كانت الساعة السادسة، وقد وصلت سيارة الشرطة بعد ان عاد زولتان مباشرة إلى المطبخ، وكان من الطبيعي ان يخرج هو لاستقبالهم، وأيضاً ان يقودهم إلى الفان، ولكن هذا لم يغير من طبعها الذي ساء وهي تراه يستلم مقاليد الأمور من بين يديها مرة أخرى، تملكها الضيق البالغ وهي تفكر في ذلك.

ثم اخذت تعمل في إعادة الحواجز التي كانا وضعاها إلى مكانها وكذلك قطع الأثاث وذلك بطاقة تولدت من ثورة غضبها.

عندما عاد زولتان وضابط الشرطة إلى المنزل، كانت الغرف قد عادت إلى نظامها السابق، بينما كانت بيني مغبرة الشكل وهي تتمتم كالمجنونة.

أدرك زولتان على الفور مبلغ ما صار اليه طبعها من سوء، وعرفت هي ذلك من نظرته اليها وهو يلوي فمه، ولكن هذا لم يهدىء من ثورتها.

فقال برقة يخاطب ضابط الشرطة: «ان بامكان السيدة داين ان تشرح لكم ما حدث اكثر مما استطيعه أنا يا حضرة الضابط، فما انا سوى زائر، فهي التي أدركت ان العصابة لا بد جاءت لسرقة هدايا الزفاف، وهي التي عرفت المكان الذي لا بد قد تركوا سيارتهم فيه، فأنا لم افعل سوى... مد يد المساعدة لها.»

لكن الضابط لم يخدعه هذا التواضع، ولا بيني التي عرفت ان قصد زولتان هو تهدئتها وارضاءها، فأخذت تصرف باسنانها.

لكنها لم تستطع ان تفعل شيئاً إزاء هذا الاعتراف اللطيف سوى المبادلة باللطف منها كذلك، هذا إذا شاءت ان تبقي على شيء من كرامتها.

قالت باختصار: «ان الايقاع باللصوص هو من عمل الاستاذ غارد كلياً.»

ابتسم الضابط، فهو لم يفكر في خلاف ذلك، كما هو واضح، وألقى على الرجل نظرة اعجاب، وهو يقول: «انني

أريد منك بياناً رسمياً، يا سيدي، وانت أيضاً بالطبع يا سيدة داين.»

نظر اليها زولتان وقد لمعت عيناه، لا بد ان الضابط البريء ظنه تعبيراً عن اللهفة والاهتمام، ولكن بيني رأت هذا اللمعان من تحت اهدابه دليلاً على شيء آخر.

قال هو: «طبعاً، ولكن ليس هذه الليلة فقد امضت السيدة داين وقتاً عصيباً، ما شكل لديها صدمة.»

تنهد الضابط بعطف وهو يومىء برأسه موافقاً.

لكن بيني قالت له بجفاء: «ان الصدمة التي تملكتني لم تكن اكبر من الصدمة التي تملكتك فأنا قادرة تماماً على إعطاء الشرطة بياناً بما حدث.»

قال الضابط يهدئها: «لا لزوم لاتعاب نفسك بذلك، هذه الليلة يا سيدة داين، فان لدينا ما يكفي من العمل مع هؤلاء الاشقياء، كما ان صديقك قد شاركنا في ذلك.»

صديقها؟ اندهشت بيني، بينما بدت على ملامح زولتان البراءة التامة، ولم يلاحظ الضابط ذلك، وإنما كان يضحك بصوت خافت وهو يتذكر ما حدث، قائلاً: «وحيث انهما مقيدان بحزاميكما فهناك بعض الإجراءات القانونية، وهذا كل ما نحن بحاجة إلى محاسبتهما عليه هذه الليلة، وسيأتي واحد منا، فيما بعد، ليدوّن بياناً بالتفاصيل. ربما في وقت ما من الأسبوع القادم.» ونظر في ساعته، «ولكن لا حاجة إلى ان نؤخركما عن النوم اكثر من ذلك، استمتعا بالراحة هذه الليلة، فالصدمة أمر غير سهل ويستلزم عناية خاصة، تصبحان على خير.»

لم تنطق بيني بكلمة، فألقى عليها زولتان نظرة

سريعة ثم رد عليهما تحية المساء، مشيعاً الضابط إلى الباب.

عاد إلى غرفة الاستقبال وهو ينظر اليها محاذراً.

فقالت بلهجة تتضمن الاتهام بأجلى معانيه: «هل أنت صديقي؟»

لوى زولتان شفتيه وهو يتمتم قائلاً: «انها غلطة منه.»

«هذا غير ممكن إلا اذا كنت انت افهمته ذلك، فهل هذا ما فعلته؟»

قال وكأن كرامته جرحت: «وما الذي يجعلني اقول ذلك؟»

«لا اظن هناك شيء لا تفعله اذا ما ظننته مسلياً، فهل فعلت ذلك؟»

فهز كتفيه: «ربما افترض من نفسه ان بيننا علاقة، وليس من الضروري ان نشرح له نوع صلتنا ببعضنا البعض بكل دقة.»

قالت بصوت مختنق: «ليس بيننا أي صلة.»

رفع حاجبه وهو يبتسم متهكماً: «حسناً، هذا صحيح، ولكنه كان سيحتار وتختلط الأمور في ذهنه لو انني قلت هذا له، أليس كذلك؟»

حملقت فيه غير قادرة على انكار منطقه هذا، ولكن مازال في اعماقها الشك في نفس الوقت.

قال بلهجة الاقناع: «اسمعي، لقد كان الضابط هنا ليأخذ بعض الجناة، فإذا هو وجد رجلاً وامرأة بمفردهما في المنزل، فذهب به الظن إلى استنتاج واضح، فما أهمية ذلك؟ انه سينسى كل شيء عن ذلك حالما يعود إلى مكتبه ويبدأ بكتابة تقريره عما حدث.»

«انه ليس (استنتاجاً واضحاً)، انني...»

عادت الابتسامة إلى عينيه وهو يقول برفق: «بل كان كذلك.»

تلاشت من بين شفتيها كلمات السخط، وقالت بحيرة: «ماذا؟»

«ان ضابطك هذا مخبر جيد، فقد أدرك ذلك على الفور.»

لم تصدق بيني هذا، فهو ما كان ليقول ذلك من نفسه، وتبدد من نفسها الغضب الناتج عن الصدمة ليحل مكانه شيء اكثر تعقيداً.

قالت، راجية ان يكون قولها صحيحاً: «انا لا افهم.» اذا كانت شكوكها صحيحة، فهي ستصبح في وضع لم تكن تتوقعه ولا تريده، وليس لديها أية فكرة عن كيفية معالجته، وقال زولتان مفكراً: «كلا، انني اعلم ذلك، وهذا ما يبعث في نفسي الفضول.»

شعرت بيني بقلبها ينقبض بشكل عنيف يكاد يصل إلى حد الألم، وبحركة لا إرادية وضعت يدها على جنبها تخفف من هذا.

لم تنتبه إلى ما كانت تفعل، ولكن زولتان انتبه إلى هذا، فرأت حاجبه يرتفع وقد بدا عليه الفضول وعدم التصديق، ما يقرب من الندم، وإذ رأت نظراته تتجه إلى يدها، انزلتها بسرعة، وسألته: «ماذا تعني؟»

أجاب بنفس اللهجة الرقيقة: «الأمر لا يتعلق فقط بجمال البشرة والعينين الخضراوين كما تعلمين.»

فهزت رأسها قائلة: «لا أدري ما الذي تتحدث عنه.»

«بل أنت تدرين، قد لا تفهمين ذلك، ولكنك تعلمين ما الذي اتحدث عنه، لا بأس.»

استدارت بيني جانباً ومضت تدفع أريكة تعيدها إلى مكانها. ثم قالت: «انك مخطىء، ليس لدي أقل فكرة.»

سوّت من وضع الأريكة والوسائد فوقها، متجاهلة إياه، وكانت الصورة المعلقة فوقها قد انحرفت عن مكانها، فأخذت بيني تحاول الوصول اليها لتقويمها.

وإذ بذراع طويلة تمتد من فوق كتفها إلى الصورة فتقومها بشكل افقي وبكل دقة، كان واقفاً خلفها مباشرة، ما اشعرها بالضيق والارتباك.

«انظري إليّ.»

«أنا...»

فقال بصوت رقيق: «ألا تجرؤين؟»

رفعت رأسها باعتداد، واستدارت تخبره بأنها تجرؤ بكل سرور على مقابلة أي تحد منه، وعندما نظرت في عينيه خفق قلبها، فقد رأت فيهما شعلة من نار.

مد يده يحاول الإمساك بذراعها فتراجعت مبتعدة، وإذا بها تتعثر فتقع على الأريكة.

أسرع إليها يمد يده يحاول مساعدتها، لكنها بدأت تدفعه عنها وقد احمر وجهها وازداد خفقان قلبها.

لكن، ما هذا؟ ثمة شيء كان يحدث، ذلك ان اصواتاً بعيدة تناهت إلى سمعها مترافقة مع صوت محرك سيارة... ثم صوت... قالت هامسة وهي تحاول الوقوف: «هنالك شخص قادم.»

فتمتم يقول: «اذا كان هذا لصاً آخر، فان على الشرطة ان تمنحك حسماً على حجم البيع.»

فقالت: «هذا صوت والدي.»

لم تنظر اليه، لم تستطع ذلك، فقد كانت ما تزال ترتجف لعنف المشاعر التي كانت تملكتها بقربه.

لكن زولتان، على كل حال بدا طبيعياً، وهو يسألها: «هل هو الممثل العظيم؟»

وعندما أومأت بالإيجاب ابتسم.

اخذت تحدث نفسها عما حدث لها، فقد كانت واثقة من انه مثلها لا يريد أيّ علاقة معها، فلماذا هذه النظرات منه، والمشاعر منها؟ نظرت اليه في الظلمة الخفيفة التي تحيط بهما، وكان يضحك دون اهتمام.

«بيني...»

لكنها لم تعد تطيق جاذبيته القوية تلك والتي لا تعني شيئاً، فمرت من أمامه رافعة الرأس متوجهة نحو المطبخ حيث دخلته في الوقت المناسب بالضبط.

ذلك ان باب المطبخ انفتح فجأة فدخلت منه هبة ريح محملة بشذا الحديقة، بينما بدا شخص في الظلام وهو يقول بصوت مرتفع: «ها قد وصلت إلى البيت.»

ثم اندفعت إلى الداخل حقيبتا ملابس متشابهتان تبعهما شخص طويل القامة، ثم اغلق الباب خلفه، وكان يترنح قليلاً: «مرحباً.»

كان زولتان واقفاً بجانبها شبه ملاصق لها، فحاولت الابتعاد عنه وهي تقول: «ان والدي سيرانا.»

فهمس في اذنها يقول: «انك تمزحين، فهو محظوظ إذا استطاع رؤية شجرة سنديان في حالته هذه.»

«ماذا؟»

فقال: «من الواضح ان والد العروس كان يحتفل بهذه المناسبة، بالعكس من شقيقتها.»

عضت بيني شفتها وهي تتقدم من والدها تمسك بذراعه قائلة: «مرحباً يا والدي، ظننتك ستبقى في لندن هذه الليلة.»

«انها كثيرة الضجيج.»

سار إلى مائدة المطبخ، وعندما اخذ ينظر إلى ما كانت نسيته على المائدة من طعام، تألقت عيناه ثم مد يده إلى إبريق العصير، قائلاً: «انني في غاية العطش.»

أحضر له زولتان كوباً ملأه له وهو يضحك، هذا بينما اخذت بيني تعد القهوة وتسرع بها، فهو بحاجة إلى العودة إلى اتزانه قبل ان تعود والدتها وشقيقتها.

افرغ والدها الكوب في جوفه قبل ان ينتبه إلى ان هذا الوجه الودود امامه لم يكن مألوفاً لديه، فوضع الكوب من يده وقد بدت الحيرة على ملامحه الوسيمة المشهورة.

«أي منهما أنت؟»

فابتسم زولتان: «اي من ماذا؟»

قال تشارلس برينكمان: «هل انت صهري؟»

رأت بيني زولتان يهز كتفيه قائلاً بأدب: «ليس لدي هذا الشرف، مع الأسف.»

أومأ الوالد برأسه قائلاً: «ما اكثرهم.»

قال زولتان ضاحكاً: «هذا يعود إلى ان البنات كثيرات رائعات الجمال.»

بدت الحيرة على وجه تشارلس، ثم نظر حوله في المطبخ، وازدادت الحيرة في عينيه عندما وقع نظره على بيني، بينما اجفلت هي، ان كل ما يحتاجه هذا المساء الرائع

هو ان ينتهي بأن يأخذ والدها بتفسير السبب الذي جعل ابنته هذه بالذات تضع أسوأ العوائق في طريق الرجال.

قالت له بحدة قبل ان يبدأ بالكلام: «أليس من الأفضل لك ان تصعد إلى سريرك للنوم يا والدي؟»

ضاقت عينا زولتان، ولكن الوالد ابتسم قائلاً: «يا لابنتي الحبيبة، انك دوماً تهتمين بي، دوماً تهتمين بنا جميعاً...» وبدا الحنان البالغ في صوته.

فقالت بحزم: «اذا لم تصعد إلى غرفتك الآن سرعان ما تجد نفسك إزاء والدتي ووصيفات العروس.»

نجح هذا التهديد إذ نهض واقفاً، بينما اسرعت هي تحضر له زجاجة مياه معدنية من الثلاجة. وكانت تشعر بعيني زولتان تراقبانها وتراقبان والدها وهي تحثه على السير نحو الباب، قائلة: «لا تنس ان تشرب هذا الماء.»

فوضع زجاجة المياه تحت إبطه ثم خرج، أخذت تنصت إلى ان سمعت صوت صعوده السلم، ثم تنفست بارتياح.

عند ذلك قال زولتان: «لقد تخلصت منه بسرعة بالغة.»

فأجفلت: «عفواً؟»

«حتى انك لم تخبريه بمغامراتنا هذا المساء، وإنما سارعت إلى إرسال هذا العجوز المسكين إلى سريره.»

استند إلى الجدار مشبكاً ذراعيه فوق صدره، وهو ينظر اليها بإمعان: «ألا تحبين أسرتك؟»

وإذا بها دون سبب تدرك، تنفعل قائلة وقد توهج وجهها: «لا تكن سخيفاً.»

كانت عيناه تتفحصانها، ولم تعودا ضاحكتين، فانفجرت تقول إزاء نظراته الجامدة تلك: «انهم بحاجة

إلى كثير من العون والانتباه، وهذا احياناً اكثر مما استطيع احتماله.»

فقال برقة: «انك لا تعلمين كم انت محظوظة إذ يكون لديك ما تحتملينه، انا لا يمكنني ان اتذكر آخر مرة رأيت فيها والدي، اما بالنسبة إلى والدتي...»

وهز كتفيه: «انها لم تهتم مطلقاً أين اكون أو مع من، حتى ولو كنت في آخر الدنيا، وها انت ذي هنا كنت مستعدة للحرب لأنك ظننت ان أهلك يريدون ان يهيئوا لك مرافقاً لكي تمضي وقتاً طيباً اثناء عرس شقيقتك.»

بدا لها سبك الموضوع بهذا الشكل ضيق الأفق بدا لها حقيراً للغاية، وتمزقت مشاعرها بين السخط ورغبة غريبة من الدفاع عن نفسها... ان تمحو تلك النظرة الساخرة عن عينيه، وانتصر السخط، فقالت بعنف: «وما علاقة ذلك بك؟»

«حسناً، يبدو واضحاً انني المختار لأكون مرافقاً لك، وهكذا ترين ان لي حقاً قانونياً في الاهتمام بك.»

«انك لا تهتم بي، كما انني لا أهتم بك.»

«انك لا تنفكين عن هذا القول.»

«لأنه صحيح.» وإذ بدا الشك على ملامحه، قالت: «وهذا أمر بديهي.»

هز رأسه قائلاً: «لو كان هذا أمراً بديهياً، لما كان عليك ان تقوليه.»

فقالت بهدوء: «انني لن انفك عن قوله لأنه يبدو انك بحاجة إلى من يذكرك به، وهذا بالنسبة إلى ما تقوله عن علاقة بيننا أجد من الصعب تفسيره.»

«انني لا امانع في إنشاء علاقات، ولكنني لا احب استعجالها.»

نظرت بيني في عينيه فرأت فيهما ابتسامة أثارت غيظها، وكأنه يسلي نفسه بإثارة غيظها، وتمنت لو انه لم يفلح في ذلك.

فقالت: «حسناً، ان ذلك يستبعدني من الموضوع، أليس كذلك؟»

«ليس بالضرورة.» وتقدم إلى الأمام.

تراجعت إلى حيث وقفت خلف كرسي، تحسباً للعواقب اكثر منه شعوراً بالكرامة، ثم اخذت تنظر اليه بعدم ارتياح.

قال: «انك في حالة صدمة، كما أرى؟»

كان في صوته شيء كانت واثقة من انه لن يعجبها إذا هي فهمته، فسألته بارتياب: «ماذا تعني؟»

أجاب باسماً: «اعني انك بالنسبة إلى امرأة مجربة مثلك، تكرهين ان تعترفي بمشاعرك.»

وإذ ادركت انها تقبض يديها بشدة إلى جانبيها، ارختهما بسرعة وهي تقول: «انك تتخيل ذلك.»

«لا اظن هذا.»

فقالت رافعة صوتها: «لقد كنت في حالة صدمة بسبب اولئك اللصوص المسلحين، وهذا شيء طبيعي تماماً...»

«لقد كنت في حالة صدمة لأنك كنت تتجاوبين عاطفياً معي، ولولا مجيء والدك لما كنت مانعت في حدوث شيء بيننا.»

جمدت بيني في مكانها، ثم قالت بذعر: «كلا.»

«اظن عليك ان تدرسي مشاعرك جيداً.»

«أية مشاعر هي تلك؟»

«الإنجذاب... الانفعال...»

www.elromancia.com

فانكمشت، لقد كان ذلك صحيحاً إلى حد يثير الفزع، هذا ما كان آلين يريده منها ويفرضه عليها، واغمضت عينيها.

لكن زولتان لم يكن يعلم أياً من ذلك، ولم تكن هي تريد أن تخبره.

تمالكت نفسها ثم قالت بشيء من التهكم: «انك تمدح نفسك.»

«انك جبانة.»

فحملقت فيه: «هل تدعوني بالجبانة؟»

«نعم.»

اخذت تفكر في زواجها المخيف، ثم في حياتها التي اقامتها على الانقاض.

ثم قالت له بهدوء: «انك مجنون، لم يصفني أحد قط بالجبن.»

كان هو يراقبها بابتسامة صغيرة غريبة: «حسناً، برهني على ذلك.»

«ليس عليّ ان...» ثم سكتت، فاتسعت ابتسامته ولم يقل شيئاً، وانما عيناه تحدثتا عنه.

تنفست بعمق ثم قالت: «وكيف؟»

أجاب برقة: «تعالي إلى غرفتي.»

الفصل الخامس

مضت لحظة ظنت بيني خلالها بانها لم تسمع جيداً، وهزت رأسها تنبذ منه ما قد يكون عقلها الباطن قد حرف كلماته إلى معنى بعث في نفسها مثل هذا الارتباك، وزاد انزعاجها وهي تدرك ما يحتل عقلها الباطن في الواقع، ثم وببطء أدركت ان ما كان زولتان قاله بالضبط، هو ما سمعته حقاً، فحملقت فيه.

رفع حاجبه قائلاً: «لا لزوم لمظهر الذعر هذا، فهذا كان مجرد عرض مني وليس أمراً ملزماً.»

عرض؟ أخذت تحدق فيه غير مصدقة. وما لبث التعقل ان تملكها، ولأول مرة هذه الليلة، تشعر بروح الفكاهة، ما شعرت معه بارتياح كبير، فدست اصابعها في شعرها وهي تقول باشمئزاز وفي صوتها أثر للضحك: «لا اصدق انك قلت هذا.»

ضاقت عيناه وهو يجيب: «بل صدقيه.»

فقالت بحزم: «بل افضل عدم ذلك، لقد احرجتني بما يكفي هذا المساء.»

«وكيف احرجتك؟»

نظرت إليه دون ان تتكلم، ثم اخذت تضحك بهستيرية لم يستطع هو ان يدرك سببها، كما ان بيني لم تلحظها.

اخذ زولتان يراقبها صامتاً، وأخيراً توقفت عن الضحك، وبحثت عن منديل فلم تجد فمسحت عينيها بقفا يدها وهي

تنظر حولها تبحث عن ورق المطبخ، وعندما وجدته جذبت منه قطعة.

«أنا آسفة... ما كان لي...» وبدت علائم الضحك مرة أخرى، تهدد بالانطلاق، فتنفست بعمق تهدىء من نفسها وهي تقول: «كل ما في الأمر هو ان كل هذا لم يسبق لي به خبرة، وعندما سألتني كيف انك سببت لي الحرج...» وانفجرت مرة أخرى بالضحك وقد اختنق صوتها.

فقال: «وكذلك أنا لم يسبق لي به خبرة، فلم يحدث لي قط ان ضحكت سيدة من كلامي، من قبل.»

بانت البغتة والندم الصادق على وجهها ثم قالت: «آه، أنا آسفة، لم اكن اقصد ان اكون قليلة الأدب.»

اجاب بعدم اكتراث: «ان كرامتي لا يجرحها هذا.»

تضاءل ندمها بشكل ما، وعاد هو يحدق فيها بفضول واهتمام، ثم قال: «ولكنني مازلت أريد منك جواباً، هل الانجذاب نحو رجل ما يسبب لك الحرج؟»

تبدد ما كان بقي في نفسها من الندم، وقالت بسرعة: «لا بد ان ما احرجني واضح تماماً، فهو يحرج أي شخص عاقل، ام انك في العادة، تدعو النساء إلى غرفتك في أول معرفتك بهن؟»

رفع حاجبيه وقد بدا على ملامحه تعبير غريب، وكأنه لجفل لما قالته، لكنه مالبث ان عاد إلى السيطرة على نفسه، فقال ببطء: «هذا يعتمد على نوعية المرأة، والوقت.»

نظرت إليه باتزان: «هل هذه عادة هنغارية أخرى قديمة؟»

فقهقه ضاحكاً لهذا، وهو يجيب: «انني اعيش خارج

هنغاريا منذ وقت طويل، وقد تعلمت مغازلة النساء على شواطىء كاليفورنيا.»

إذن فهذا هو سبب لكنته الأميركية، كما رأت بيني، وكذلك اسمرار بشرته، فقالت له بلطف: «إذن فمن هناك اكتسبت تدريبك المحرج على الغزل.»

هز كتفيه قائلاً: «الشعور بالحرج هو مضيعة للوقت، فالذي يريد شيئاً يسعى للحصول عليه، قد يصاب بجرح في كرامته.» نظر اليها بإمعان: «وهذا مؤلم، ولكنه افضل من ان يدع الشعور بالحرج يعيقه عن بلوغ هدفه.»

هزت بيني رأسها: «هذا حسن، لكن الجواب مازال (كلا).»

قال باهتمام واضح: «نعم، هذا ما أراه، ولكنني مازلت مهتماً بمعرفة السبب.»

ترددت، لا بد انه التعب... أو لعلها الاستقامة التي جعلتها تحس فيه الصدق... ولكنها شعرت فجأة بأنها تريد ان تخبره بالحقيقة... فقالت برزانة مفاجئة وشي من الخجل: «هل شعرت في حياتك بالحب، يا زولتان؟»

«نعم.»

«مرات كثيرة؟»

«بما فيه الكفاية.»

«حسناً، لقد احببت انا في حياتي مرة واحدة فقط، كنت في التاسعة عشرة، وكنت أريد ان اعطيه القمر، وقد حاولت جهدي لذلك، كل انسان قال انني مجنونة بينما هو لم يكن يريد القمر على حال، والمشكلة هي اننا عرفنا ذلك بعد فوات الأوان.»

بدا زولتان بالغ السكون، ثم قال غير مصدق: «هل هذا هو السبب في شعورك بالحرج؟»

هزت رأسها نفياً: «بل هذا هو السبب في انني خارج اللعبة، لقد استنفدت كل ما لدي، كما ترى، حتى لم يبق شيء، ومنذ ذلك الحين لم أمر بتجربة أخرى، لقد اخترت أنا الرجل غير المناسب، كل أسرتي تظن ان عليّ ان احاول مرة أخرى، ولكنني أعرف ان... انني لست من هذا النوع.»

نظرت إليه بشجاعة: «هل يمكنك ان تفهم هذا؟»

فقال بصوت غريب: «لا تجربة أخرى منذ ذلك الحين؟»

فهزت رأسها نفياً.

قال بعطف: «انك على صواب فأسرتك لا تفهمك، ما افظع نتيجة مغامرتك تلك.»

«انني اعلم هذا الآن، ولكنني في التاسعة عشرة لم أكن اعلم.»

قال وهو يراقب وجهها: «وهكذا، انت الآن لا تقدمين على أي مغامرة على الاطلاق، أريد ان اقول ان شقراء خضراء العينين مثلك لاتقدم على المغامرة سرعان ما تشعر بحرج هائل تجاه أي شيء.»

بدت على شفتيها ابتسامة خفيفة: «كلا، بل يمكنني عادة ان اتجنب كل ما يسبب لي الحرج، لقد عرضتني انت هذه الليلة لمشاعر اكثر مما تعرضت له في الخمس سنوات الأخيرة.»

«إذن فقد سببت لك أخيراً هزة.»

ولم يظهر عليه أيّ سرور لهذا الانتصار، لم يكن ثمة فائدة من الكذب، فقد كان بالغ الفطنة، وكانت هي مستنزفة المشاعر، على كل حال، ورفعت رأسها: «نعم.»

لكنه لم يقل شيئاً، ورأت في عينيه نظرة شاردة فأحنت رأسها، وهي تقول بأسى: «لم يكن هذا المساء جميلاً بأي

شكل، اما اليوم الآتي فهو سيكون أشبه بالهلاك، لا أدري عنك، ولكنني بحاجة إلى النوم، فهل تريد شيئاً آخر قبل ان اذهب إلى سريري؟»

ما ان قالت ذلك، حتى شعرت بأنه كان بإمكانها ان تصيغ جملتها بشكل اكثر رقة، ولكنه تجاهل ذلك وهو يسخر من نفسه بخشونة تقرب من المرارة: «إذن فقد استطعت ان اهزك، حسناً، يمكنك ان تعزي نفسك، على الأقل بأن شعورنا متماثل.»

فهزها كلامه هذا، ما خرجت معه عن هدوئها، نظرت اليه وقد تملكتها صدمة. فقال بشيء من التجهم: «نعم، سأصعد إلى غرفتي كرجل مهذب، ولن انزل لأزحف حول بابك، ولكنني لا اظن ان أيّاً منا سيتمكن من النوم هذه الليلة.»

• • •

كان على صواب بطبيعة الحال.

لقد نامت بيني في سريرها الفردي الذي كان لها وهي صبية صغيرة، لكنها ولأول مرة في حياتها، لم تشعر فيه بالراحة، اخذت تتقلب في فراشها، ملقية بالأغطية مصطدمة بالساعة المنبهة قرب السرير، ثم سمعت صوت وصيفات العروس وهن عائدات من السهرة...

أخيراً يئست بيني من النوم، فاستدارت واشعلت المصباح، كانت الساعة الثالثة صباحاً، ارتجفت من البرد رغم انهم كانوا في فصل الصيف تقريباً، ولكن في مثل هذه الساعة من الصباح، كان البرد وكأنهم في (ديسمبر)، وتذكرت انتقاد زولتان للجو الانكليزي، أتراه يشعر بالبرد هو أيضاً في غرفته الكائنة تحت السطح مباشرة؟

ضمت ذراعيها حولها تدفىء نفسها، ما الذي تملكها حتى جعلها تخبره بكل تلك الأمور؟ لقد اخبرته بأشياء لم تخبر بها حتى أسرتها، ولا أياً من اصدقائها. حتى اكثر مما اخبرت صديقتها الحميمة سوزان فلين التي تعرف من اسرارها اكثر من أي شخص آخر. ولكن ها هي ذي الآن تتدفق محدثة زوليان غارد بكل شيء كأية فتاة مراهقة، وتملكها الاشمئزاز من نفسها، كنت في التاسعة عشرة، كنت مغرمة... ما الذي بقي لم تقله؟ وتملكها الأسى، لا بد انه يضحك منها الآن، اذا كان مستيقظاً.

رفعت البطانية إلى ما فوق كتفيها من البرد، لو كانت مع زولتان الآن اتراها كانت تستمتع بالدفء؟ وذعرت من هذا الخاطر، لقد حلمت ذات يوم بالزواج من آلين، وقد تزوجته، فماذا كانت النتيجة؟

هزت بيني رأسها تبدد هذه الافكار الغادرة. وحدثت نفسها بأن هذا اكثر من مجرد تأثير العرس، فهي لم تحلم بنفسها، مرة أخرى، مع رجل آخر منذ تركها آلين، ولم يكن هذا بالوقت المناسب للبدء مرة أخرى، خصوصاً اذا كانت تريد ان تحتفظ بهدوء نفسها، فهناك اشياء اكثر أمناً تساعد على الدفء.

نزلت من سريرها واخذت تبحث فوجدت جوربين ومعطفاً منزلياً من المخمل فلبستهما وعادت إلى السرير ولكنها لم تستطع النوم إلا بعد ان بدت تباشير الفجر من خلال اغصان الشجرة خارج نافذتها.

تأخرت عن طعام الافطار، وكان حول عينيها هالات داكنة كما ان التوتر كان ظاهراً في فكها، ما جعلها تدرك ان

كل ذلك سيكون مثاراً للتعليقات، وقفت عند العتبة، ضامة ذراعيها حولها، وكان الجميع موجودين.

رفعت والدتها اليها عينين شاردتين: «صباح الخير، يا حبيبتي، هل تأخرت في النوم؟»

فأومأت بيني شاعرة بالارتياح، فقد كانت والدتها في العادة، تطلب منها تفسيراً على الفور لمظهرها الشاحب المرهق هذا، وسبب تأخرها في النزول إلى مائدة الافطار.

رفع زولتان بصره اليها بنظرة سريعة، ورأت فمه يتوتر وهو يرى دلائل الأرق على وجهها.

بدا لها بحالة جيدة، فلا دلائل على قضائه ليلة سيئة، وتملكها الأسى إذ ترى ذلك يناقض ما كان قاله الليلة الماضية عن انهما لن يستطيعا النوم، ولم تعرف ما إذا كان عليها ان تسر لذلك أم تأسف.

كان امامه مقعد خالٍ جلست عليه متجنبة النظر في عينيه واللتين كانتا قد اخذتا تتفحصانها بنظرة شاملة ارسلت احمراراً خفيفاً إلى وجنتيها.

لحسن الحظ لم تلاحظ والدتها هذا أيضاً، إذ كانت تسكب القهوة ثم تناولها إلى بيني.

كانت تقول بذهن غائب: «لم تصل الزهور بعد، لقد حاولت الاتصال بمتجر الزهور عدة مرات ولكنهم لم يجيبوا.»

شخر تشارلس الوالد ثم قال: «عندما نزلت، كانت هناك نصف دزينة من النساء يحملن إلى خيمة العرس شجرات بأكملها.»

هزت الوالدة رأسها قائلة: «انهن نساء الجمعية النسائية فهن يحضرن الخيمة ومكان عقد الزفاف، لقد سبق وقلت لك ذلك يا تشارلس، ان على متجر الزهور في لندن ان يزين

غرفة الاستقبال بالأزهار، انها هدية محلات جيني لسيليا.»

قال تشارلس: «انهم اذن لا يمكن ان يكونوا نسوا ذلك، ان متجر زهور في لندن لا يمكن ان ينسى ارسال الأزهار إلى عرس أهم عارضة أزياء، أليس كذلك؟»

تجاهلته الوالدة، فهي لم تحب التحدث عن المزيد من الجوانب التجارية المتعلقة بعرس ابنتها الرائعة الجمال.

فسألتها بيني بصوتها الهادىء: «متى اتصلت بهم هاتفياً يا والدتي؟»

عاد تشارلس يشخر ثم يقول: «منذ طلوع الفجر وهي تتصل بهم في كل ساعة تقريباً، ولا يدهشني انهم لم يردوا عليها.»

بدا على الوالدة وكأنها على وشك البكاء: «انهم في متاجر الأزهار، ينهضون باكراً ليذهبوا إلى السوق لشراء الزهور الغضة.»

قالت العروس وهي تدهن قطعة من الخبز بالزبدة والمربى: «لا تشغلي بالك، يا والدتي، إذا حدث الأسوأ ولم تأت الأزهار فبإمكان بيني ان تجمع لي باقة من الحديقة.»

قالت بيني ساخرة: «شكراً لثقتك هذه.»

نظرت سيليا اليها بابتسامة عريضة: «هل تتذكرين باقات الزهر تلك التي اعتدنا ان نجمعها لنهديها إلى والدي؟»

ضحكت بيني فجأة: «اتعنين باقات نبات القراص والأعشاب؟ اتريدين ان تسيري في عرسك حاملة باقة من الأعشاب البرية؟»

قالت سيليا: «حسناً، ان الأعشاب البرية جميلة.» ولكنها إزاء نظرة الذعر من والدتها، سكتت وهي تضحك.

قالت بيني وهي ترى والدتها تنهض واقفة باحتجاج: «انها لا تقصد شيئاً.»

قال الوالد ضاحكاً: «انك فتاة مشاغبة إذ توترين اعصاب والدتك بهذا الشكل.» ثم قال يفسر الأمر لزولتان: «عندما كانتا طفلتين، كنت انا ذهبت لتسلم جائزة اوروبية حيث يقدم الرجال والنساء أزهاراً، وقد سمعتني الفتاتان اتحدث عن ذلك للورا، فأرادتا ان تفعلا نفس الشيء.» كان صوته دافئاً وهو يتذكر ذلك: «فأخذتا تقيمان احتفالاً كل مساء بعد عودتهما من المدرسة. ولم يكن مسموحاً لهما بقطف أزهار من الحديقة، بالطبع، ولهذا كان عليهما ان تصنعا باقات من الأعشاب البرية، وكانتا تتناوبان في تقديم ذلك، ولكن حسب ما لاحظته، كانت بيني هي دوماً التي تصنع الباقات.»

قال زولتان مازحاً: «كانت فنانة حتى من ذلك الحين؟»

كانت عيناه دافئتين وهو يقول ذلك، ما جعل بيني تشعر بالسرور وهي ترى من يجيب عنها، وأومأت سيليا: «كانت الوحيدة التي تحسن صنع ذلك، كانت باقاتي وباقات ليزلي سرعان ما تتفكك وتتساقط.»

فقالت الوالدة تقطع الحديث: «اظن الأفضل ان اذهب لأعاود الاتصال بمتجر الأزهار.»

وأسرعت خارجة، بينما التقط تشارلس صحيفته وضحكت سيليا وهي تقول: «مسكينة والدتي، سيكون العرس على مايرام في يوم جميل كهذا، هل تريدين مزيداً من القهوة يا بيني؟»

وإذا بالوالد يقول: «اسمعوا. زوجة توجه بعد عشرين عاماً، إلى زوجها إنذاراً قضائياً، ما كان لها ان تنتظر

عشرين عاماً قبل ان تدرك ان زوجها يضربها.» ثم قال لسيليا: «نعم، أريد مزيداً من القهوة، انا أيضاً يا حبيبتي.» استقامت بيني قليلاً، ولاحظ زولتان ذلك، وأدركت هي ذلك بعد فوات الأوان وهو ينظر إليها عبر المائدة بعينين ضيقتين، لقد كشفت مرة أخرى عن مشاعرها الخاصة، ما الذي جعله يلاحظ خلافاً لأي شخص آخر؟ تباً لذلك، تباً تباً.

نهضت واقفة تقول: «ان إبريق القهوة بارد، سأصنع قهوة جديدة.» ثم سارت نحو الخزانة، شاعرة بعينيه تتبعانها، تباً لذلك.

قالت سيليا حالمة: «هذا النهار هو بداية حياة جديدة لي.»

قال الوالد: «نعم، يا زهرتي، وهذا لا يعني انها جديدة، بالضبط، فأنت تعرفينه منذ مدة طويلة.»

فلم يبد على سيليا أي ارتباك وهي تقول: «لقد أردنا ان نتأكد من بعضنا البعض قبل الإرتباط النهائي.»

فهز الوالد رأسه، كان من الواضح انه لم يقتنع تماماً، ثم قال: «حسناً، انك على الأقل تعلمين الآن انه لن يضربك.» وهز الصحيفة وهو يتابع قائلاً: «هل قرأت هذا؟ لا أدري لماذا تظن والدتك ان هوليوود هي وكر للظلم؟ يبدو لي ان هذا كله موجود عندنا، فهذه المرأة تدعي ان زوجها يضربها بمعدل مرتين أسبوعياً وذلك منذ عشرين عاماً، ومادامت صبرت عليه عشرين عاماً، فهذا معناه انها تحب الضرب.»

شعرت بيني بقشعريرة باردة تتملكها، كما كان يحدث في الماضي البعيد، بقيت مولية اليهم ظهرها وهي تدير مطحنة القهوة، وكان الصوت عالياً بحيث لم يكن ممكناً سماع الجواب.

عندما تلاشى صوت المطحنة، قال الوالد: «ما كان لك ان تقومي بإحداث صوت كهذا في وجود شخص يشعر بالإعياء بعد ليلة مرهقة، يا حبيبتي.»

قالت بيني بمرح دون ان تلتفت اليه: «لو كان لديك ذرة من الاحساس، لما تسببت لنفسك بمثل هذا الإعياء.»

قال الوالد برزانة بالغة: «الرجل يضطر إلى إرهاق نفسه عندما تفارقه آخر ابنة صغيرة عنده.»

اغرقت سيليا في الضحك، بينما شهقت بيني والتفتت بالرغم عنها، وعلى الفور التقت عيناها بعينين زولتان، كان فيهما تساؤل ضاحك. فالتوت شفتاها فجأة، وجلست على كرسي وهي تهز رأسها، قائلة بصراحة: «يا لك من مبالغ يا والدي، منذ خمسة عشر عاماً لم تعد أي منا ابنتك الصغيرة.»

لكن تشارلس كان مستمتعاً بالقيام بدور الوالد المتحسر، فقال: «هل تتذكرين يوم عرسك، يا بيني؟ كنت انا من توتر الأعصاب بحيث فقدت باقة أزهارك. وكانت والدتك تبكي طوال الوقت.» وتنهد لهذه الذكريات.

أجفلت بيني، وفارقها فجأة كل رغبتها في الضحك، ماذا كان يمكنها ان تقول؟ انك لم تكن متوتراً؟ وانك كنت ثائر الغضب؟ لم تكن تريدني ان أتزوجه؟ وان هذا هو سبب بكاء والدتي؟ وانكما كنتما على حق انتما الاثنين؟

كلا، لم يكن هذا ممكناً، وذلك لسبب واحد، وهو ان الشخص لا يتحدث عن مصائب الزواج اثناء عرس شخص ما، وثمة سبب آخر وهو ان أسرتها لم تعرف بالضبط مبلغ ما كان عليه زواجها من سوء، فقد جعلتها كرامتها تخفي هذا الأمر إلى النهاية.

أجابته بجمود: «نعم، اتذكر.»

فهزت سيليا كتفيها: «لا تتكلموا عن ضياع باقات الزهور، انني لا أؤمن بالخرافات ولكن لا حاجة للتفكير في النحس.»

مال زولتان إلى الأمام قائلاً لبيني: «هل تزوجت في بيتكم هذا أنت أيضاً؟»

لم تجب بيني، ولكن الوالد تبرع بالجواب عنها، فقال له عابساً: «لم يكن عرساً كهذا، فقد كانت بيني ماتزال طالبة، ولم تكن تحب الاحتفالات والزينات على كل حال، كانت حفلة عائلية فقط.»

قال زولتان مقطباً جبينه: «طالبة؟ صغيرة إلى هذا الحد؟» وضاقت عيناه فجأة ثم سألها برقة: «تسعة عشر؟»

تباً لها، ما كان يجب ان تخبره بذلك، وأومأت برأسها باختصار محولة عينيها عن عينيه، كان والدها يعلم ان زواجها كان غلطة كبرى، كما قال، ولحسن الحظ انه لم يكن يعرف بالضبط مبلغ فداحة هذه الغلطة، ولم يكن هناك حاجة لأن يعلم زولتان غارد أي شيء على الاطلاق.

اصبحت القهوة جاهزة، وكان جو المطبخ عابقاً برائحتها المنعشة، فنهضت وحملت الإبريق إلى المائدة.

مد والدها فنجانه فأزاحت سيليا الصحيفة قليلاً، وإذا بنظرها يقع على المقالة.

قالت بلهجة من لديها حبيب مخلص محب: «اتعرفون أن هذا غريب جداً، أعني لماذا لم تتركه إذا كان يضربها؟»

ارتجفت يد بيني قليلاً فأخذت تسكب القهوة في فنجان والدها بحذر، ثم قالت بهدوء: «ربما لم يكن لديها مكان آخر تذهب إليه.»

قالت سيليا بحيرة: «ولكن هناك ملاجىء.»

أجابت بيني وهي تناول والدها فنجانه: «ربما كانت خائفة.» ثم نظرت إلى زولتان تسأله على كره منها: «أتريد مزيداً من القهوة؟»

قدم اليها فنجانه وهو ينظر اليها بعينين حادتين إلى درجة مخيفة.

تناولت الفنجان وهي تنظر بسرعة إلى سيليا ووالدها، ولكنها رأت انهما لم يلحظا شيئاً، آه، لو انها فقط لم تكن بذلك الغباء الليلة الماضية. لو انها فكرت فقط قبل ان تسمح لنفسها بأن تكتسحها غرابة الظروف التي حدثت، لو انها فقط لم تحدث زولتان بكل أسرارها.

قال لها وعيناه على وجهها: «من السهل ان يخاف الانسان إذا كانت علاقته بالآخر بالغة القسوة.»

اخذت بيني تتأمل بخار القهوة المتصاعد وهي تسكبها، شاعرة بنظراته تلسع وجهها كلفح النار. قالت باضطراب: «اظن ذلك.»

قال الوالد: «علاقات قاسية؟ انها مجرد مسألة نفسانية، لو ان رجلاً ضرب امرأة، فالمرأة التي لديها شعور بالكرامة تتركه من أول مرة يقوم بذلك، وإذا لم تفعل، بهذا يعني فقط انها تطلب المزيد.»

شعرت بيني وكأنه سكب فوقها ماءً بارداً، فجمدت في مكانها وقد تملكتها شبه صدمة، اخذت يدها تهتز فوضعت إبريق القهوة من يدها، شاعرة بالدم يهرب من وجهها.

انحنى زولتان إلى الأمام ثم اخذ الكوب من يدها وهو يقول: «من المؤكد ان كل انسان يظن ذلك.» نهض ثم سار إلى

النافذة، ما جعل الوالد يميل في كرسيه قليلاً ليتمكن من متابعة الحديث معه، إتكأ على عتبة النافذة واضعاً فنجانه امامه، وتراءى لها فجأة، وكأنه يقود حلقة دراسية، ولأول مرة تراه استاذاً جامعياً. «ولكن من المدهش ان نرى ما يمكن ان يتعود عليه الانسان، بينما يقنع نفسه بأنه طبيعي، هنالك ميل اساسي إلى الخمول والكسل، طبعاً، اقول هذا كمحلل نفساني، ان مخاوف الفرد هي ان أي تغيير في الظروف إنما هو إلى الأسوأ.» وضحك فجأة: «لقد حدثني ميتشيل بأن الانكليز يسمون هذا (قانون مورفي)، حيث ان أي تصرف لا سابقة له يجده الفرد صعباً بشكل خاص، الجماعات تساند بعضها البعض، سواء كانوا أنصار كرة القدم أو علماء صواريخ... ولكن الفرد المنعزل يخاصم العالم أجمع، وليس هناك من هو أشد عزلة من امرأة تعاني من زواج عنيف بالغ القسوة، فالمرء يمكنه ان يفهم كيف يحدث أمر كهذا.»

تدفقت هذه الكلمات... مدروسة هادئة، فتنفست بثبات، وهي تعتصر يديها معاً دون ان تدع والدها يراها، وشعرت بالدم يجري في عروقها مرة أخرى، فسكبت لنفسها قهوة أخذت تعبها بجرعات كبيرة.

هز والدها كتفيه وقد بدا عليه عدم الاقتناع: «قد تكون على صواب، فأنا لم اعرف امرأة حدث لها مثل ذلك.»

آه، ألم تعرف حقاً؟ اخذت بيني تفكر في ذلك ساخرة، اتراني نجحت إلى هذا الحد في إخفاء هذا الأمر، أم انك انت الذي لم تشأ ان ترى؟

قالت سيليا بعطف: «يا لها من مسكينة، ما افظع ان لا يكون للشخص أسرة تسانده.» ومدت يدها تضغط على يد

بيني وقد ملأها التأثر وهي تتابع قائلة: «لو حدث لي مثل هذا، لهرعت إلى شقيقتي الكبرى.»

ابتسمت لها بيني، ولكن هذا كلفها جهداً، وهي تفكر بحزن، آه، كلا، انك لن تفعلي ذلك، فأنت أيضاً، مثلي تكتمين الأمر آملة بأن يتغير ولا تخبرني به أحداً.

ثم قالت بسرعة: «اتمنى لك السعادة يا سيليا.»

فابتسمت سيليا: «سأكون كذلك، فأنا سعيدة، وسأحصل على باقة الزهور اينما كانت.» قالت الجملة الأخيرة ضاحكة بمكر.

فقال والدها: «حسناً، ان والدتك تسعى لذلك، إذهبي وانظري إذا كانت استطاعت الاتصال بمتجر الزهور العفن ذاك، هل لك ذلك، يا حبيبتي؟»

ما ان توارت سيليا، حتى مال إلى الأمام قائلاً: «هل يمكنك حقاً ان تصنعي لها باقة تحملها اثناء الزفاف؟ هذا طبعاً إذا حدث للزهور عائق فلم تصل.»

قالت بيني متشككة: «ليس من الحديقة، إذ لا يوجد فيها ما يكفي من الأزهار، ربما يوجد ما يكفي لباقة سيليا، ولكن ليس لوصيفات العروس، وتلك الزهرية الضخمة في غرفة الجلوس تحتاج إلى ما يملأها.»

فقال زولتان: «هل هنالك ما يمنعكم من شراء مزيد من الأزهار من المنطقة هنا؟»

قفزت بيني قائلة: «لا اظن ثمة ما يمنع.»

فقال الوالد بحماسة: «فكرة نيرة، خذي معك احداً يحمل الأزهار معك.» وألقى على الضيف نظرة ذات معنى.

بدا الهزل في ملامح زولتان: «كنت على وشك ان اعرض عليكم ذلك.»

قالت بيني بجمود: «لا حاجة لذلك.»

«بل ثمة حاجة لذلك، فقد قلت بنفسك ان الزهرية في غرفة الجلوس تحتاج إلى ما يملأها، الأفضل ان تأخذي سيارة المزرعة وتضعي الأزهار في الخلف.»

ترددت بيني، ذلك انها كانت تكره قيادة سيارة المزرعة لكبر حجمها وثقلها.

ابتسم والدها الذي كان يعرف ذلك، وقال: «ان بإمكان زولتان ان يقود السيارة.»

قال زولتان وقد ازداد الهزل في عينيه: «بكل سرور.»

لم يكن بإمكانها الاعتراض، كان تغلبهما عليها واضحاً، كما انه كان واضحاً ان زولتان رأى الأمر باعثاً على التسلية... كما انها لم تستطع تجنب ذلك دون ان تبدو سيئة الأدب أو مثار تساؤل منهم، وأي من هذين الأمرين لن يكون في يوم عرس سيليا.

فقالت بجفاء: «شكراً.»

قال ضاحكاً: «مرحباً بك في أي وقت.»

نظرت إلى ساعتها: «مادمت ستقوم بذلك، فالأفضل ان اذهب الآن.»

أومأ والدها قائلاً: «افعلي ولا تقولي شيئاً لوالدتك.»

بدت الدهشة على بيني بينما تابع هو يقول: «انني سأستمر في التظاهر بالاقتناع بأن متاجر الزهور لا يمكن ان تخذل زبائنها، وهكذا عندما يبدأ الذعر يتملكها تكونين انت قد عدت بشيء من الأزهار.» ثم اخرج محفظته من جيبه واخذ يبحث فيها: «انك لا تريدين دولارات... ماذا آه، ها هي ذي، لقد صرفت شيكاً أمس فخذيه، وإذا لم يكن كافياً...»

فقاطعته بيني قائلة: «يمكنني ان ادفع الفرق.» في المطبخ اخذ رنين الهاتف يعلو، فذهب ليجيب وهو يبحث عن مفتاح سيارة المزرعة بين المفاتيح المعلقة على اللوح بجانب الهاتف.

«ألو، جوناس، هل ضيعت الطريق؟» ثم ألقى بالمفاتيح إلى زولتان الذي تلقاها بيد واحدة، بينما كان هو يتابع: «نعم، طبعاً سأخبرك كيف تجد طريقك إلى خيمة عقد الزفاف.»

وأشار إليهما بالخروج من المطبخ بينما كان يتابع الكلام: «هل لديك ورقة وقلم؟»

«هل أنت قادمة؟» سألها زولتان ذلك بينما كان عند عتبة المطبخ، وسارت بيني نحوه راجية ان لا يبدو الضيق على وجهها.

قال لها حالما اصبحا خارج الباب: «لا لزوم لإبداء هذا القلق، فأنا اعدك بأن لا احاول التحرش بك.»

قالت وهي تتقدمه في السير إلى الكاراج: «لا تكن سخيفاً، فهذا الأمر لم يخطر لي ببال.»

«إذن فأنت لا تعرفين شيئاً عن عادات سكان كاليفورنيا في الغزل، عندما كنت في طور النمو، كان هذا هو مستوى السلوك.»

قالت بلهجة لاذعة: «من المفروض ان تكون الآن قد اصبحت ناضجاً.»

فضحك: «ثمة اشياء لا ينساها المرء أبداً.»

قالت وهي تفتح باب الكاراج: «حاول اذن، فليس لدينا وقت لألاعيب حمقاء.»

«خصوصاً إذا كنت لا تقومين بالاعيب.»

نظرت إليه بحدة، ولكن وجهه بدا جامداً، وتبعها إلى

داخل الكاراج حيث ميز السيارة على الفور دون صعوبة، وكانت واقفة بين سيارة سيليا المكشوفة وسيارة الوالدة، والاثنتان لم تكونا متوقفتين جيداً.

فقالت: «سأحضر المفاتيح وانقل احدى هاتين السيارتين.»

قال: «لا حاجة بك لذلك.»

وانحنى من فوق سيارة سيليا، ثم فتح باب سيارة المزرعة، ومن ثم استطاع ان يدخل اليها، ثم خرج بها من الكاراج دون ان يحتك بأي من بقية السيارات. لسبب ما، شعرت بيني بالضيق من مهارته هذه، فقالت وهي تصعد إلى المقعد بجانبه مغلقة الباب بعنف: «انك ماهر للغاية.»

«لقد كانت هذه مهنتي، فعندما كنت في الجامعة، اتخذت إيقاف السيارات مهنة للعيش.»

وعندما ابتعدت بهما السيارة، سألته: «هل كنت توقف السيارات في هنغاريا؟»

فضحك: «كلا، كلا، كان ذلك في كاليفورنيا، وإلا لما سمح لي والدي بأن أوسخ يدي بالعمل بالسيارات لو كنت في بلدي، فقد كان مفروضاً انني ولد نابغة.»

«آه، فهمت، هل كان ذلك بعملية تبادل مع جامعة أميركية؟»

فقال: «كلا، بل هاجرت، عندما كنت في الرابعة عشرة.»

بدت الدهشة عليها: «كان هذا منذ وقت طويل، إذن؟ ما اقل ما يعرفه الانسان عن بقية أنحاء العالم، كنت دوماً اظن ان الهجرة غير مسموح بها.»

فقال باسماً: «لقد كانت فعلاً غير مسموح بها.»

«ماذا؟»

«كنت لاجئاً سياسياً، إجتزت الحدود في منتصف الليل، متوقعاً القبض عليّ في أي لحظة.»

فقالت: «ولكن من غير الممكن ان تكون لاجئاً سياسياً في الرابعة عشرة، لقد كنت صبياً.»

نظر إليها قائلاً: «لم اكن صبياً قط.»

«ماذا؟»

فهز كتفيه: «كنت الولد الوحيد لرجل كان هو نفسه نابغة، ذات يوم، ما لم يتسع معه وقته لعهد الطفولة، ولكن لسوء الحظ، سانده النظام هناك.»

عندما وصلا إلى الطريق الرئيسي سألها: «من اين طريقنا الآن؟»

«إلى الأمام حيث تقاطع الطرق.» وكانت تجاهد لاستيعاب ما قاله لها، إذ لم تفهم منه شيئاً.

«ما الذي تعنيه بقولك انه كان نابغة ذات يوم؟ فالنوابغ لا يتوقفون عن العطاء.»

فألقى عليها نظرة سريعة: «بل يحصل هذا إذا كانوا نبغاء في الرياضية، لقد كنت دوماً شاكراً لأنني لم اكن رياضياً فقط، وربما هناك سبب كيماوي لهذا، واكثر الرياضيين كانت افضل انجازاتهم وهم حوالي الثلاثين من اعمارهم، وحتى قبل ذلك، في الخامسة والعشرين كان العالم كله يهتف باسم والدي، وكان اسمه في كل صحف العالم، وعندما بلغ الأربعين اصبح منسياً.»

ضاقت عينا بيني: «أتريد ان تقول انك كنت فرصة عمره الثانية؟»

رفع حاجبيه: «ذكية، شيء كهذا، بكل تأكيد.»

«وماذا حدث بعد ذلك؟»

«لا شيء سيئاً تماماً، فقد كنت موهوباً بشكل غير عادي، وهكذا اخذوني من بين والديّ وارسلوني إلى مدرسة تضم امثالي، وذلك في كل نواحي الاتحاد السوفياتي، ولم اعد إلى هنغاريا إلا بعد ان اصبحت في الثالثة عشرة.»

أخذت بيني تفكر في طفولتها المضطربة، كانت تغير مدرستها دائماً، ولكن كان هنالك دوماً احد والديها واخواتها بجانبها.

فقالت: «هذا فظيع.»

«هذا ما كن اظنه، لقد كنت ألوم النظام الشيوعي، طبعاً وهكذا اقسمت على ان اخرج من حكمهم وأسير في حياتي كما أريد، وذلك حالما استطيع، وكانت صدمة هائلة عندما وصلت إلى الغرب لأجد ان الأطفال الموهوبين لا يعاملونهم بطريقة مختلفة هنا ولكنني عندما اصبحت اكبر سناً، رأيت أن طبائع البشر لا تختلف كثيراً، مهما كانت مؤسساتهم السياسية، ولكنها ظلت تمثل صدمة في الواقع، وهذا كان آخر وهم انزاح من امام عيني.»

شعرت بيني بدافع يدفعها إلى الاعتذار له عن تبدد ذلك الوهم، لكنها حين نظرت إليه، طويلاً تراجعت عن ذلك، رأته ليس بالرجل الذي يحتاج إلى العطف من الآخرين.

وكأنما كان يقرأ افكارها، قال: «اصبحت في أحسن حال من دون أوهام، هذا رغم انني خسرت شيئاً لم يكن كبير الشأن على كل حال، وهو ذلك الحب الذي كنت سألتني عنه الليلة الماضية.»

فاحمر وجه بيني: «لم اكن اقصد... أنا...»

«بل كنت تقصدين، وكان هذا صواباً.»

«لم يكن لي الحق...» ابتدأت تقول هذا وقد تملكها الضيق.

فقال: «بل لديك كل الحق، اذا كنت تريدين ان تعلمي، فهل كنت تريدين ذلك؟»

اخذت بيني تحدق إلى الطريق امامها باهتمام، لقد مضى على معرفتها به أقل من أربع وعشرين ساعة، لقد ضحك منها وأخذ يملي عليها أوامره كما أوشك ان يخوض معها في أسرار بالغة الخطورة كما انه أبدى معرفة بكل ما هو مهم بالنسبة اليها، مهما اجتهدت في إخفاء ردود فعلها أو تحريف كلامها، كل ذلك دون ان تعرف عنه شيئاً على الاطلاق، وما لبثت ان حزمت أمرها، فقالت تجيبه: «نعم.»

قال بهدوء: «كان ذلك منذ وقت طويل، كنت حديث السن ولكن ليس في سن التاسعة عشرة طبعاً، كانت كل ما يحلم به فتى، كما اظن، كانت رائعة الجمال، رائعة التربية، ذكية ذات أسرة رائعة، وعندما أعود بتفكيري إلى الماضي، أرى انني ربما كنت مغرماً بأسرتها قدر غرامي بها، كان افراد أسرتها جميعاً أذكياء ويعيشون في منزل رائع في نيوهامبشاير.» نظر اليها بطرف عينه: «انه لم يكن يختلف عن بيتك في بعض النواحي.»

سألته: «اترانا نكرناك بهم؟»

أجاب: «من بعض النواحي، وليس كلها، كانوا أسرة متنافسة للغاية، بينما انتم... حسناً، انكم تختلفون الواحد عن الآخر، ولكنكم تحبون بعضكم البعض، ويمكنني ان أرى هذا الآن، فقد كان كل واحد منهم يريد ان يهزم الآخر، وخصوصاً كاثرين.»

فقالت: «هكذا إذن، وهل أرادت ان تهزمك أنت أيضاً؟»

لاحت على فمه ابتسامة هي عبارة عن التواء شفتيه دون بهجة: «نعم، وكلا، نعم، لقد أرادت ان تنتصر على الدوام، وإذا لم تستطع تصبح في غاية الشراسة والقسوة، وكلا، لانها لم تشأ ان تعيش مع رجل يمكن أن يهزمه احد، حتى هي.»

فقالت بشكل لا إرادي: «هذا هو الجحيم بعينه.»

قال معترفاً: «مضت علينا لحظات سعيدة.»

«هل تزوجتما؟»

«كانت تلك هي الحماقة الوحيدة التي لم اقترفها. كانت تريد ذلك، ولكنني... لم اكن واثقاً ولكن علاقتنا دامت طويلاً، واخيراً قالت ان الذنب ذنبي في عدم نجاح علاقتنا، وكانت على حق جزئياً، فقد كانت قبل ان تتعرف إليّ، تحب التنافس إلى درجة بالغة، ثم استمر هذا منذ ذلك الحين، وقد سمعت انها تعيش الآن مع زوجها الثالث.»

كان في لهجته شيء جعلها تنظر اليه.

«هل مازلت تلاحق اخبارها، يا زولتان؟»

فهز كتفيه قائلاً: «كلا، ربما هي آثار الحريق، لقد علمني هذا درساً قاسياً، ولكنه كان مفيداً، وهو انه ليس ثمة علاقة دائمة.»

فقالت: «فهمت.»

لقد فهمت حقاً، وبوضوح سبب لها الضيق، ولكن، ماذا يهمها اذا كان زولتان غارد لا يثق بالإرتباط الدائم؟ انها لا تكاد تعرف الرجل، ومع ذلك فقد آلمها كلامه هذا، آلمها كثيراً.

«انها المديرة المسؤولة لمصرف الأسرة، الآن وهذا ما كانت تريدني ان اتخذه عملاً، طبعاً، قائلة ان العمل كأستاذ جامعي لا مستقبل له في حياة مرفهة، وعلى كل حال، فقد كانت ستكره وصولي إلى هذا العمل قبلها هي.»

قال الجملة الأخيرة متهكماً: «وهذا كله لا يناسبني، في الواقع قمت بتأدية خدمة استشارية لهم السنة الماضية، لقد قدموا لي أجراً قليلاً بالنسبة إليّ، في الواقع، ولكنني فكرت في أنني مدين للوالد، فقد كان طيباً معي حتى انه اقرضني نقوداً مرة.»

فسألته: «وهل الأساتذة الجامعيون يعملون مستشارين للمصارف؟» هذا رغم انها لم تكن تهتم على الاطلاق بذلك، فقد كان كل اهتمامها منحصراً في الإبقاء على نظراته بعيدة عنها إلى ان يتلاشى هذا الألم الذي بدا على ملامحها.

فضحك وهو يجيبها: «على الدوام، فالطلب كثير عليّ حتى انني اصبحت هذه الأيام احدد الأجر بنفسي.»

انفجرت ضاحكة فجأة: «مع ان ظن والدتي بك هو انك استاذ جامعي تكاد تموت جوعاً ولهذا فانت بحاجة إلى وجبة طعام دسمة.»

رمقها بإحدى نظراته السريعة تلك، وهو يقول: «لقد كنت كذلك الليلة الماضية، ومن كل النواحي.»

قالت وقد تملكها شعور بعدم الارتياح: «نعم، حسناً، استدر الآن إلى شمالك، انها ليست إلا قرية، ولكن قد نجد فيها أزهاراً، بعد إشارة السير، المجموعة الثانية من الحوانيت.»

اتبع إرشاداتها، وعندما أوقف السيارة ترجلت منها متوقعة منه ان ينتظرها في السيارة، ولكنه خرج منها وتبعها إلى الحانوت.

نظر حوله إلى المناضد الخشبية المعروض عليها انواع الخضار المحلية، وهو يقول: «هل لديهم أزهار هنا؟»

قالت وقد شعرت به يطل من فوق كتفها، ما بعث في

نفسها الإضطراب، قالت بحدة: «حسناً، انني لا أريد ان تتزوج شقيقتي حاملة، بدلاً من باقة زهور زهرة قنبيط.»

فضحك قائلاً: «مما رأيته هذه الليلة، لا اظنها تمانع في ذلك.»

«ولكن والدتي هي التي تمانع.»

خرجت صاحبة الدكان تحييهما، فشرحت لها بيني مشكلتها وهزت هذه رأسها قائلة: «انني احصل على أزهاري يومياً غضة من المزارعين في المرج.» ولكنني وحدي هذا الصباح فلم اخرج لإحضارها.» خفق قلب بيني، ونظرت إلى ساعتها: «ربما لدينا ما يكفي من الوقت للذهاب إلى متجر شروبري إذا انت أسرعت قليلاً.»

لم يتحرك زولتان من مكانه، وقال لصاحبة الدكان متكاسلاً: «ما رأيك في ان نذهب نحن إلى المرج؟»

بدا الشك على وجه المرأة: «حسناً، في الواقع انهم يبيعون بالجملة.»

فقال بابتسامة عريضة: «هذه ليست مشكلة، فوالد السيدة يقول اننا بحاجة إلى ما يساوي نصف ما تحمله الشجرة.»

ابتسمت المرأة له. ها قد ابتدأت جاذبيته المشهورة تفعل فعلها، كما اخذت بيني تفكر متجهمة الوجه.

وقالت صاحبة الدكان: «كلا، اعني لأجل التجارة فقط.»

فقالت بيني: «هيا، اننا نضيع وقتنا.»

قال: «ولكن إذا نحن احضرنا لك الأزهار فهذا يعني اننا نشتريه لنتاجر به، أليس كذلك؟»

فأومأت المرأة ببطء: «يمكنني ان اعطيك بطاقتي انهم يعرفونني طبعاً، ولكن...»

«اتصلي بهم وقولي انك وحدك ولا يمكنك ترك الحانوت، ولكنك سترسلين جيرانك لإحضار الزهور منهم.» واتسعت ابتسامته وهو يتابع: «ثم ان هذا صحيح.»

فأومأت المرأة قائلة: «يمكنني ذلك.»

«هذا جميل، كل ما نحن بحاجة اليه إذن هو قائمة بما تريدينه، هل تدفعين لهم نقوداً ام تضعينه في حسابهم في المصرف؟»

اخذت بيني تنظر اليهما وهما يتناقشان حول طريقة الدفع، ومما بدا على ملامح المرأة، تكهنت بيني بأنه إما دفع لها مزيداً من النقود، وإما انه أثر عليها بجاذبيته.

وعندما عاد إلى السيارة قالت له: «اظنك تعتبر نفسك ذكياً.»

رفع حاجبه: «هل أنت غاضبة مني؟»

«انني احب الطريقة التي تلقي فيها بالأوامر على كل من حولك وذلك لخدمة مصالحك.»

فقال: «آه، ولكن هذه المناسبة هي لخدمة مصالحكم انتم، ثم انني لا ألقي بأوامر، وإنما فقط اسهل الطريق لجعل الآخرين يفعلون ما أريده، وذلك بأن أريهم ان هذا هو ما يريدونه هم أيضاً في الواقع.»

وتردد في سمعها ما كان قاله الليلة الماضية: (كان ذلك عرضاً مني وليس أمراً)، واحمر وجهها، وزاد ذلك في غضبها متمنية لو ان بإمكانها ان تمنع وجهها من الإحمرار.

«آه، أهذا هو الأمر؟ انك ماهر في ذلك إلى حد يدعو إلى الشك.»

قال بهدوء: «ان عليّ ان اكون كذلك، فهذه مهنتي، أو القسم الذي آخذ عليه أجراً جيداً من مهنتي، على كل حال.»

«ماذا؟»

نظر اليها وعيناه تتألقان: «انك، يا فتاتي العزيزة، قد حصلت على ما يساوي عدة آلاف من الدولارات ثمن استشارة إدارية، ولو كنت مكانك لما قابلت ذلك بالفظاظة، فإن زبائني لا يعجبهم ان يعلموا بأنني أوزع استشاراتي مجاناً.»

أحضرا الأزهار مع ما طلبته صاحبة الحانوت، وقد سمحوا لبيني بدخول الحدائق بنفسها لتختار ما تريده وعيناها تتحديان زولتان في ان يأتي معها، فضحك هازاً كتفيه، وبقي ينتظرها في المكتب.

وفي طريق عودتهم إلى المزرعة، كانت السيارة من الخلف محملة بالأزهار، فقال زولتان: «لماذا لم تحتفلي بعرسك بهذا الشكل؟ وقد كنت في التاسعة عشرة وواقعة في الغرام.» وإذ رفعت بيني رأسها بدهشة، قال يذكرها: «لقد ذكر والدك ذلك على مائدة الافطار.»

فقالت باسمة: «آه، نعم.» وكان اختيارها للأزهار قد لطف في مزاجها: «أولاً، هذا ليس من طبعي، ثم... حسناً، كل أسرتي لم تكن موافقة على هذا الزواج على كل حال.»

أوما وكأن هذا ما كان يتوقعه، ثم قال برقة: «اني متأكد من انك كنت مذهلة الجمال في التاسعة عشرة، مذهلة، وغارقة في الحب، ووالداك غير موافقين، كما انك، بعد الزواج، لم تنجبي طفلاً.»

تملكها الذهول ثم سألته: «وكيف علمت بذلك؟»

«لأنه لو كان لك طفل، لما أهرقت كل عواطفك على زوج، بل أبقيت قسماً منها للطفل.»

سكتت بيني طويلاً، وأخيراً قالت: «انك ذكي.»

«بل مهتم، اخبريني عن زوجك، ما الذي حدث له؟»

نظرت إلى خارج النافذة، كانت الشمس قد جعلت الطريق يتألق، ثم قالت: «لقد مات منذ سنتين، لقد قتل في حادث.»

كانت هذه حقيقة ولكنها ليست كل الحقيقة، وتساءلت عما إذا كان لاحظ تهربها، وفعلاً لاحظ ذلك.

فقال بهدوء: «وهذا كل ما تريدين ان تخبريني به، حسناً، دعي ذلك حالياً، واخبريني بدلاً من ذلك كيف تعرفتما إلى بعضكما البعض، هل كان شاباً صغيراً مثلك؟»

هزت كتفيها: «كلا، لقد كان رساماً، وكان قد استأجر مرسماً في هذه المنطقة اثناء فصل الصيف، وكنت انا في كلية الفنون، فأخذ يعطيني دروساً، وهكذا وقعنا في الحب، ثم تزوجنا، وانتهت القصة.»

«انني أرى الزواج بداية القصة وليس نهايتها.»

«هذا يعتمد على نوع القصة.» تمتمت بذلك بصوت خافت ولم تكن تتوقع ان يسمعها، ولكنه سمعها طبعاً، فقال وكأنه يتعهد بما يقول: «يوماً ما، ستخبرينني، يوماً ما ستخبرينني بالقصة بأجمعها.»

الفصل السادس

لحسن الحظ بدت لهما المزرعة من بعيد فأسكته ذلك عن طلب المزيد منها، ما تنهدت معه بارتياح.

لم تر احداً من الأسرة، ولكن سيدات من الجمعية النسائية قلن ان والدتها كانت متوترة للغاية، كما ان الأزهار لم تصل بعد، فدخلت بيني إلى المطبخ وابتدأت بصنع باقات الزهر. وكانت سيدات الجمعية قد احضرن لها الأسلاك والوسائل الأخرى لصنع ذلك، مما لم تكن تعرفه من قبل.

أدخل زولتان صناديق الأزهار إلى المطبخ دون أي تذمر، ما أثار إعجاب سيدات الجمعية، وفكرت بيني في ان جاذبيته هي التي اكسبتها ثلاث متطوعات لمساعدتها في صنع باقات وصيفات العروس.

سواء كان هذا صحيحاً أو لا، فقد كانت شاكرة لذلك، فقد استغرق هذا العمل مدة اطول مما كانت تتوقع، وأخيراً ملأت الزهرية الكبيرة في غرفة الاستقبال في مدة ربع ساعة.

تركت إحدى مساعداتها تقوم بتسوية أوراق الأزهار بشكل فني، ثم ركضت صاعدة السلم، لقد كان زولتان قد أمسك لها الزهرية الكبيرة وهو يبتسم لها بمودة ومكر ما جعل إحدى نساء الجمعية تتنهد، دخلت بيني إلى غرفتها وهي تتنفس بصعوبة، ثم أخرجت من خزانتها ثوبها الجديد، واثناء ذلك لمحت صورتها في المرآة، ثم توقفت.

لأول مرة منذ سنوات، اخذت تتفحص منظرها. وسرتها

صورتها التي وقعت عليها عيناها، إذ لم تر شيئاً بشعاً في ملامحها، كانت طويلة القامة وربما أميل إلى النحافة، ولكن ذلك كان ينسجم مع الطراز العصري، لذا لم تكن تهتم بذلك، واثناء السنوات التي أمضتها مع آلين، كان امتلاء جسمها نظراً لحداثة سنها، قد جعل في نفسها خوفاً من ان يجعلها مثار الإنتقاد من الغير، وهي الآن شاكرة جداً شعورها بالارتياح من هذه الناحية.

لأول مرة منذ سنوات، تشعر بيني بعدم الرضا عن مظهرها.

كانت قصة شعرها الجديدة الأنيقة تظهرها صغيرة ضعيفة ما جعل بيني تشعر بالضيق وعدم السرور وحدثت صورتها بحزم: «انا لست ضعيفة.»

بادلتها صورتها النظرات، غير موافقة على ادعائها هذا، بدت عيناها كبيرتي الحجم تحت حاجبيها المرتفعين، كان لونهما قد تغير كما يحدث لها عادة عندما تشعر بالضعف والعجز، وكان آلين يعرف حالتها النفسية من تغير لون عينيها هذا.

واستدركت نفسها. فهي لن تفكر في آلين ولن تتذكره هذا النهار اكثر مما فعلت، لقد كان هذا الزواج شيئاً من الماضي دفعت ثمنه وانتهت منه، كما سبق وقالت لصديقتها سوزان فلين، وهي لا تبحث الآن عن علاقة جديدة خصوصاً إذا كانت سريعة ومع رجل مرح متقلب لا تفهمه وان يكن هو يفهمها اكثر مما ينبغي.

ارتجفت وهي تفكر في نظراته إليها الليلة الماضية، فابتعدت عن المرآة، ما الذي كان يحدث لها؟ حتى كأنها وقعت في حب هذا الرجل، وهي تتذكر كل دقائق معرفتها له،

ان من الأفضل ان تنسى كل ذلك وتتمالك مشاعرها، مذكرة نفسها بأنها لن تراه بعد أن تنتهي هذه العطلة الأسبوعية.

وحدثت نفسها بصوت عالٍ عنيف: «يا لك من غبية.»

خلعت ثيابها، دون نظرة أخرى إلى المرآة، ثم دخلت إلى الحمام وبعد الاستحمام في الماء المعطر، شعرت بنفسها اكثر ثباتاً، ثم وضعت على جسدها روب الحمام وعادت إلى غرفتها.

سمعت طرقاً على الباب، فجمدت في مكانها، لا يمكن ان يكون هو، لا يمكن ذلك في منزل مليء بالناس قد يراه أي واحد منهم، ثم يكون عليه ان يواجه أسرتها حين يكونون جميعاً متجمعين اثناء عقد الزفاف.

لكن جانباً آخر من عقلها قال انه يفعل ذلك، فهو الرجل الوحيد الذي لا يهتم بما يقوله الناس عنه.

حتى آلين بكل وحشيته، كان يهتم بسمعته بين الناس، ولكن ليس زولتان، حتى انه لا ينتبه قط إلى الآخرين.

فكرت في كل ذلك وهي تلوي شفتيها، ان عليها ان تبعده عن بابها، بطبيعة الحال.

ولكن، حذار... حدثت نفسها بذلك وهي تثبت حزام روب الحمام حولها، ثم تفتح الباب وهي تقول: «هذا ليس لائقاً...» ثم سكتت، لم يكن هذا زولتان، وإنما سيليا، كانت شقيقتها ترتدي معطفاً منزلياً حريرياً فوق ثيابها. كما كان شعرها مكوماً فوق رأسها وفوقه النقاب الشفاف وإكليل من الزهور فوق شعرها الذهبي، كانت قد فقدت تألقها الذي كانت عليه في الصباح ليحل مكانه تعبير أقرب إلى الذعر، فقالت بيني باهتمام: «أدخلي.»

أومأت سيليا، وكانت ترتجف قليلاً، ورأت بيني ارتجاف شفتيها فوضعت ذراعها حول كتفيها: «اجلسي واخبريني عما حدث.»

قالت سيليا وعيناها الزرقاوان تنضحان كدراً: «والدتي.»

«آه، ماذا حدث لها؟»

«انها طوال الوقت في غرفتي وقد تملكها الهلع البالغ، فهي لا تنفك تقوم وتقعد...»

إذن، فهذا كان سبب احتشاد الأسرة عندما عادت مع زولتان، سكبت لها كوباً من المياه المعدنية من زجاجة بجانب سريرها ثم ناولتها إياه.

«إهدإي يا حبيبتي، اظن الزهور لم تصل بعد.»

«كلا، فقد تعطل الفان في الطريق، كيف حصلت على...» فحدثتها بيني بخطة والدهما الإنقاذية: «عندما عدنا وقالت سيدات الجمعية إن الأزهار لم تصل، جلست على الفور وصنعت لك باقة، كان يجب ان اذهب اليك لأخبرك... ولكن الحقيقة انني كنت في غاية العجلة لضيق الوقت.»

ألقت نظرة على ساعتها، ولكن سيليا لم تلحظ ذلك ودموع الشكر تتدفق من عينيها، وهي تقول: «لقد قلت لها انك لا بد ستفعلين شيئاً في هذا السبيل، ولكنها استمرت تقول ان ليس في الحديقة ما يكفي من الأزهار وإنني سأكون عروساً دون باقة أزهار، ما يستوجب النحس، وأن هذا كله ذنب والدي، لماذا لم يخبرنا والدي؟»

فكرت بيني في نفسها ان والدها قد يكون منزعجاً للغاية من كثرة لوم والدتها له، وكان متضايقاً جداً من هذه

الفوضى التي عمت البيت وان يكن لأجل عرس ابنته الحبيبة.

لكنها قالت بلباقة: «ربما فكر في أن من الأفضل ان ينتظر إلى ان يرى ان كنا سنتمكن من الحصول على أزهار في الوقت المناسب.»

حملقت سيليا بدهشة: «تقولين (كنا)؟»

قالت بيني باختصار: «لقد أرسل والدي معي زولتان ليقود سيارة المزرعة.»

«آه.» وارتسمت على شفتي سيليا ابتسامة راضية، ولكنها سرعان ما تلاشت حتى ان بيني لم تكن واثقة من انها رأتها حقاً، وحدثت نفسها بأنها لا بد قد اصابتها حالة من الهلوسة، قالت سيليا بمرح: «انه ظريف، أليس كذلك؟»

قالت بيني: «انه رجل عنيد مراوغ فيه عادة سيئة وهي تسلية نفسه على حساب الآخرين.»

«ظننته على شيء من الجاذبية.»

قالت بيني بمرارة: «آه، نعم، هو أيضاً كذلك، لا شك انه جرب عليك جاذبيته العالمية الشهرة.»

«ماذا؟»

«هذا وصفه هو لنفسه، وليس وصفي أنا.»

أخذت سيليا تضحك: «ان ميتشيل يقول ان كل امرأة تراه مدهشاً.»

فضاقت عينا بيني وقالت بهدوء خطر: «في تلك الحالة، لماذا أرسلتماني إلى المحطة تلك الليلة لأستقبل (ألبرت اينشتاين)؟»

أخذت سيليا جرعة سريعة من الماء استحالت إلى نوبة

من السعال، وعندما اخذت بيني تربت على ظهرها استعادت انفاسها ثم انكرت انهما فعلا ذلك على الاطلاق، قائلة وهي تحاول جهدها تصحيح الوضع: «على كل حال، لم اكن اعرف شكله، فأنا لم أره قبل اليوم، كما انني لا أثق برأي ميتشيل، وبعد فالرجل لا يوثق برأيه بالنسبة إلى رجل آخر، أليس كذلك؟»

لكن سيليا لم تنجح في محاولاتها هذه، ونظرت بيني اليها بعتاب قائلة: «لماذا كذبتما عليّ؟»

قالت سيليا بابتسامة مشرقة بان فيها شيء من التردد: «صدقيني ولو قليلاً، يا بيني، كل ما أردته هو ان تمضي وقتاً طيباً، فقد كان محزناً ان نكون جميعاً سعداء وكل منا لديها رجلها يمسك بيدها بينما انت ليس لك احد، لم احتمل هذه الفكرة، وخصوصاً يوم عرسي.»

هزت بيني رأسها: «المشكلة معك هي انك شاعرية إلى حد ميئوس منك، ألم يخطر ببالك أنني قد لا أريد احداً؟»

قالت سيليا بحكمة: «الكبرياء لا يوصلك إلى شيء، فأنت ستحتاجين إلى رجل، يوماً ما.»

أجفلت بيني، وبدا الفضول على سيليا واخذت تحدّق في شقيقتها بإمعان، ثم سألتها: «أي سوء كان اصابك، يا بيني؟»

عضت بيني شفتها: «أشياء كثيرة، كان الأمر سيئاً منذ البداية، ذلك اننا لم نكن نعرف بعضنا البعض بما فيه الكفاية.»

«ولم تعرفي ذلك بعد الزواج؟» كانت خيبة الأمل تبدو على سيليا وهي تقول ذلك: «لقد كان رائعاً، فأنا مازلت اذكر يوم تزوجتما... فقد حسدتك كثيراً، ظننت انني لن اجد

لنفسي زوجاً بمثل وسامته، وبدوتما غارقين في الحب.»

قالت بيني بحدة: «بل قولي مفتونين.»

نظرت اليها سيليا بعجب: «لو لم يمت آلين، هل كنتما ستعودان إلى بعضكما البعض؟»

«كلا، لم يكن ثمة حل وسط.»

لاحت خيبة الأمل على سيليا مرة أخرى. «ولكنه كان شغوفاً بك، انني اتذكر كيف كان ينظر اليك، لقد كنت اشعر بقلبي يذوب وأنا أرى ذلك.»

تذكرت بيني تلك النظرة هي أيضاً. حتى بعد تلك السنوات كانت ذكراها ماتزال تجعل غصة في حلقها بينما تأخذ راحتاها في التعرّق، لأنها خلافاً لسيليا، كانت تعرف ما جاء بعد ذلك.

قالت بهدوء: «لقد كنا تطلقنا، وأنا لم افعل ذلك في لحظة طيش، فقد فكرت كثيراً في ما إذا كنت سأعود إليه وذلك قبل رفع دعوى الطلاق، ولكنني لم استطع، كان زواجنا قد انتهى.»

وما كان له قط ان يبدأ، بطبيعة الحال، ولكنها لم تقل ذلك لشقيقتها في يوم عرسها، وبالرغم من تحفظها هذا، فقد بدا الفزع على شقيقتها: «آه، ماذا لو ان شيئاً كهذا حدث بيني وبين ميتشيل؟ لا استطيع احتمال العيش من دون ميتشيل، لا استطيع ابداً، ان بإمكانه ان يؤلمني بسهولة، ولكنني اعلم ان عليّ ان لا أدعه يقوم بذلك، وان هذا ضعف وحماقة وأن عليّ ان اخجل من نفسي، ولكنني لا استطيع تجنب ذلك.»

بدا وكأن الدموع ستعود مرة أخرى، وفكرت بيني باستسلام في ان هذا العرس سيستهلك مشاعرها الاحتياطية

للخمسين سنة القادمة، وذلك من مختلف النواحي، وان عليها ان تبذل جهدها لتهدئة اعصاب شقيقتها.

فقالت برفق: «انك وميتشيل تختلفان عنا، انا وآلين، فانتما تعرفان بعضكما البعض ولستما كما كنا نحن، فقد عرفته وعرفك لأكثر من عام، تحدثتما معاً، ووثقتما ببعضكما البعض، ولهذا تزوجتما، ومن الحماقة قولك انك يجب ان لا تدعيه يسبب لك الألم، فإذا كنتما تحبان بعضكما البعض، فإنكما طبعاً ستسببان الألم لبعضكما البعض، فهذا جزء من التعامل، فليس بإمكانك ان تقولي سأتزوجك ولكن لفترة قصيرة فقط، وذلك لأكون آمنة من الألم، فالأمر لا ينجح بهذا الشكل.»

حملقت سيليا بشقيقتها وقالت بلهجة من اكتشف شيئاً: «لقد آلمك آلين، إذن.»

لم تطرف عين لبيني: «ان الطلاق هو أمر سيء للغاية، وانا دون شك قد آلمته أيضاً. اسمعي هذه محادثة حمقاء لا ينبغي ان تكون يوم عرسك.» واحتضنت شقيقتها: «انك مغرمة بميتشيل، والشمس مشرقة، وليس عليك ان تدخلي لعقد الزفاف حاملة زهرة القنبيط بدلاً من باقة زهور.»

أجفلت سيليا: «زهرة قنبيط؟»

«لقد احضرنا الزهور من محل خضراوات في المزرعة.»

فضحكت سيليا: «كانت ستكون صورة في ألبوم الأسرة.»

قالت بيني: «حسناً، يمكنك ان تنسي ذلك، فلديك الآن باقة رائعة من الزنابق والورود.» وبسطت راحتيها لها، قائلة: «لقد خدشت يدي من كل النواحي وأنا اقطف الورود، إذا أنت لم تحمليها فسأشنقك.»

وقفت سيليا وقبلت شقيقتها: «انك أحسن شقيقة في العالم، يا بيني، كل ما أتمناه ان يكون هناك رجل طيب لأجلك.» وتنهدت.

فقالت بيني بحزم: «تمني ما تشائين، ولكن لا تقومي بأي مسعى في هذا الأمر، من فضلك.»

«ماذا؟»

«قيل لي ان هنالك قولاً يسمى (تأثير العرس)، وقد حذرني اصدقائي من هذا، وهو أن العرس الناجح ينتج عنه عرس آخر، فالتوسط في زواج الأشخاص غير المتزوجين يكون موجوداً، وتتكفل به عادة، الوالدة وابنتها العروس، كما فهمت.»

أخذت سيليا تضحك مرة أخرى وهي تقول: «ما كنت لأجرؤ على ذلك، ثم بعد هذا النهار ومتاعبه، فان والدتي ستدفع لك مالاً لكي لا تتزوجي مرة أخرى، عندما تركتها كانت تستلقي على فراشها وعلى اجفانها المنتفخة من البكاء كمادات ماء الكولونيا، فكوني آمنة إذن على نفسك من الزواج.»

أخذت بيني تفكر في ذلك الرجل الذي أحتل أفكارها في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، آمنة؟ واهتزت بالضحك، بينما اخذت سيليا تراقبها من تحت أهدابها، فقالت: «إلا اذا كان الاستاذ يقوم بلعبة تجاهك، طبعاً.»

احمرت وجنتا بيني قليلاً: «لا تكوني سخيفة.»

«لماذا هذا الأمر سخيف؟ لقد كان يسأل عنك من كل هذا الصباح، وقد بدا لي انه مهتم بك إلى حد بالغ.»

فضحكت بيني: «آه، مهتم، نعم، هذا صحيح، فقد بقي طوال الليلة الماضية يقول لي كم انا مثيرة للاهتمام.»

قالت سيليا: «حسناً، فأنت كذلك، خصوصاً ما بدا منك من

شجاعة بالنسبة إلى اللصوص، فهمت ان ليس علينا ان نخبر والدتي لئلا تثور، ولكن زولتان كان يحدث والدي قائلاً انك كنت في غاية البطولة أثناء ذلك.»

احمر وجه بيني وقالت: «هذه مبالغة.»

فقالت سيليا: «لم يكن يبدو على زولتان انه يظن ذلك، صدقيني يا بيني انه محب حقاً.»

قالت بيني بجفاء: «لقد دخلت شاعرية العرس إلى رأسك، فذلك الرجل لم يكن محباً جاداً طوال حياته.»

وعندما نظرت اليها شقيقتها غير مصدقة، اضافت تقول: «لقد اخبرني بأنه لا يؤمن بالدوام.»

سألتها سيليا ببراءة: «دوام ماذا؟»

رمقتها بيني بنظرة باردة: «ما اتذكره هو انه كان يغازلني في ذلك الحين، وكان ذلك شيئاً مؤقتاً تماماً كما قال بنفسه.»

اخذت سيليا تضحك: «ما أروع هذا، في هذه الحالة اظن من الأفضل ان تجلسي الآن وتبدإي بكتابة استسلامك الرسمي.»

«استسلامي؟ ما هذا الكلام الفارغ، ولماذا استسلم؟»

«لأنني لا استطيع ان اتصور ان ثمة امرأة يمكنها ان تقاوم زولتان غارد، ليس لمدة طويلة على كل حال.»

قالت بيني: «انه لن يبقى هنا لمدة طويلة.» ولكنها كانت تشعر بالقلق، وبشيء من الضيق، ولكن سيليا كانت من الدهاء بحيث لم تستمر في الكلام اكثر من ذلك، وابتلعت آخر جرعة من المياه المعدنية في كوبها ثم قالت لشقيقتها: «لا اظنك شربت شيئاً منذ الصباح، سأحضر لك كوباً من عصير الليمون.»

فقالت بيني: «انتظري، فالبيت سرعان ما يموج بالأشربة في غضون ساعتين.»

وإذا بالباب يقرع مرة أخرى، فذهبت لتفحته، وهي تتمتم: «هذا أشبه بمحطة بادينغتون.»

قالت سيليا ضاحكة: «كلا، انه ليس كذلك، يمكنك ان تحصلي على شراب في محطة بادينغتون، من هذا؟... آه.» قالت ذلك بدهشة، ثم ألقت على شقيقتها نظرة ماكرة.

وقفت بيني صامتة، كل ما تستطيع ان تفكر فيه هو انه قد تجرأ حقاً، وانه كان عليها ان تدرك ذلك.

وقفت جانباً لتسمح لزائرها بالدخول.

منحهما زولتان غارد ابتسامة مشرقة، ثم دخل إلى الغرفة بخطواته الواسعة.

قال: «غريب ان تذكرا ذلك، فقد كنت افكر في نفس الشيء.» وكان يحمل في يده إبريق عصير.

قالت بيني بشيء من الحدة: «انك ملهم، فقد كانت سيليا تطلب ذلك لتوها.»

افصحت نظرته السريعة اليها انه لاحظ انزعاجها، ومن التواء فمه ادركت بيني انه يشعر بالتسلية لهذا، فحملقت به.

قابل نظراتها هذه باتزان، ثم قال برقة: «هذا شيء مفهوم تماماً الاكواب؟»

تناولت سيليا كوب المياه المعدنية الفارغ، ثم ناولته إياه، وهي تقول: «ان بيني لا تحب تناول الأشربة في غرفتها، ولهذا لن نجد هنا اكواباً، ولكن ماذا بالنسبة لكوب غسيل الأسنان؟»

دخلت إلى الحمام ورأت بيني زولتان بقربها ينظر اليها بتفكه صامت واضح.

وجاءها صوت شقيقتها من الحمام: «اين كوب غسيل اسنانك، يا بيني؟ اترى اخرجته الخادمة؟» وسكتت لحظة ثم ما لبثت ان هتفت: «آه، ها قد وجدته.»

ثم عادت إلى الغرفة وقد بان الانتصار على وجهها وهي تحمل فنجان غسل الانسان بغطائه الوردي والذي كانت بيني تستعمله منذ كانت طفلة، وكانت سيليا تهز رأسها قائلة: «ان على واحد منا ان يشرب من الإبريق مباشرة.»

قالت بيني بسرعة: «لا أريد ان اشرب شيئاً.»

بدا انعدام الصبر على سيليا: «هذا يوم عرسي، ارجوك، ان عليك ان تسايرينا قليلاً اليوم، وإلا فتصرفك لن يكون اخوياً.» وقدمت الكوب إلى زولتان: «ان بيني لا تشرب شيئاً، في العادة، وهذا شيء يدعو إلى السأم حقاً.»

رفع احد حاجبيه الكثيفين، وأدركت بيني انه يختزن ذلك في ذاكرته، كما سبق واختزن كل ما سمعه منها منذ استقبالها له في محطة القطار، الليلة الماضية.

لكنه لم يفعل شيئاً، وانما ألقى نظرة خبيرة على منضدة زينتها، ثم اتجه نحوها إلى حيث كان قدح كان والدها قد احضره لها هدية مع صحن بشكل زهرة مفتوحة وذلك من الصين.

«هاك شرابك.» وسكب لها العصير في القدح، وعادت سيليا إلى الضحك وهي ترشف العصير من كوبها وتقول: «هذا رائع، انه افضل من الجلوس بجانب والدتي وسماعها تتذمر من كل شيء.»

عندما انتهت شرابها وضعت الكوب الفارغ من يدها ثم

اخذت تمعن النظر في المرآة، كان اكليل الزهور قد مال إلى جانب.

فقالت ضاحكة: «حسناً، اذا رأتني والدتي بهذا الشكل، فستجد ما تتذمر منه حقاً.» واحتضنت بيني بسرعة: «شكراً لك لكل شيء، يا بيني، انك تحافظين علينا من ان يصيبنا الجنون، آه، كم الساعة الآن؟ يجب ان اطير عائدة.»

ثم اندفعت خارجة من الباب صافقة إياه خلفها بعنف.

قال زولتان مفكراً: «انها تحبك كثيراً، أليس كذلك؟»

«اننا شقيقتان.»

«وان يكن، فأنا اعرف شقيقات تمسك الواحدة منهن بخناق الأخرى على الدوام.»

«حسناً اننا لسنا كذلك، اننا دوماً نحب بعضنا البعض.»

بدت عليه الدهشة: «دوماً؟ حتى في ايام المراهقة حيث يشتد التنافس؟»

فضحكت بيني: «انني لم اتنافس قط مع أي من اخواتي، ثم اننا مختلفات تماماً، ليزلي نكية متوقدة الذهن، انجيل ماهرة في الفنون، وسيليا حسناً، فأنت رأيتها، فهي دوماً كانت تخطط لتكون جميلة الأسرة ولا فائدة من منافستها.»

رفعت بصرها إليه باسمة، إذا بالدهشة تتملكها وهي ترى التعبير الغريب الذي بدا على وجهه... وكأنه كان غاضباً، وتلاشت ابتسامتها.

لكن ذلك التعبير لم يدم سوى ثانية واحدة، فجلس على كرسيها الخيزراني الجميل.

منحها ابتسامة ملتوية وهو يسألها بسخرية رقيقة: «وهكذا عندما كانت سيليا تخطط لتكون جميلة الأسرة، ماذا

كنت أنت تريدين ان تكوني عندما تكبرين؟ مديرة مستشفى؟»

نهضت واقفة، وهي تقول: «كلا، طبعاً.»

«ماذا إذن؟»

كان في طريقة سؤاله لها ما جعلها تقتنع بانه لن يتركها إلا بعد ان يسمع الجواب، فقالت له كارهة: «كنت أريد ان اكون رسامة.»

فقال مفكراً: «رسامة، هل ذهبت إلى كلية الفنون؟ هل درست ذلك؟»

«نعم، لفترة فقط.»

«ماذا تعنين بذلك؟»

ابتعدت عنه وهي تقول: «لم أكمل دراستي.»

استغربت عدم اجفالها من الاعتراف، بذلك مهما كان ألمها من خيبتها تلك مازال حياً في نفسها طوال السنوات التي تلت، واخذت تنظر من النافذة إلى الخارج دون ان ترى شيئاً، وهي تعض شفتها، وأسفل، كانت سيارات الفان العائدة للتجار قد ابتدأت في المغادرة، وعندما رأتها قالت لزولتان: «علينا ان نستعد.»

لكن زولتان تجاهل كلامها، وعاد يسألها: «هل كان ذلك خيارك أنت؟»

كانت بيني تراقب سيارة متعهد الطعام فسألته: «ماذا؟»

فقال بلطف: «من كان صاحب القرار في عدم انهائك دراسة الفنون؟ انت أم الكلية؟»

ما الذي سيقوله لو انها اخبرته بالحقيقة؟ وهي ان هذا لم يكن قرارها ولا قرار الكلية، وان آلين، عندما انتهى المعرض، ورأى عملها وما أنجزه من مبيع، والاستحسان

الذي ناله، كان عليها ان تمضي يوم نكرى مولدها العشرين جالسة قرب سريره تقنعه بأن لا يقتل نفسه قهراً، وانها لن تعود إلى الكلية بعد المعرض السنوي الفائق النجاح.

هزت كتفيها دون أن تجيب، ولكنه لم يسمح لها بأن تمتنع عن الجواب: «هل تملكك السأم؟ هل فقدت اهتمامك بالفنون؟»

فقالت بحذر: «كان لدي أشياء أخرى أريد ان اقوم بها.»

تريد؟ حسناً، ربما كان ذلك حينذاك، حين كانت مليئة بالحب والثقة والتفاؤل، لقد كانت تظن ان من الممكن ان يشفي حبها آلين من الادمان وكذلك من الغيرة وهو الأكثر قوة.

لكنها كانت مخطئة، ذلك انها لم تكن تحسن الحكم على الرجال ولا على قوة مشاعرها أيضاً، ومن المهم ان تتذكر ذلك.

وجاءها سؤاله من خلفها: «وما هي تلك الأشياء الأخرى؟»

عادت تهز كتفيها دون ان تجيب.

«كم كان عمرك؟»

لم تجد ضرراً في إخباره بذلك: «عشرين.»

«هل كنت أمضيت سنة في زواجك ذاك، أم أقل؟»

جمدت بيني في مكانها، ثم استدارت تواجهه، كان مايزال جالساً هناك، واضعاً حذائيه على منضدة الزينة.

فقالت بيأس مفاجيء: «لماذا توجه إليّ كل هذه الأسئلة؟ ولماذا تصر على التنقيب بهذا الشكل؟ لماذا لا تدعني؟»

فقال لها برقة: «ولماذا يضايقك هذا إلى هذا الحد؟ كل ما عليك هو أن تقولي لي ان اهتم بشؤوني الخاصة.»

قالت وهي تجلس متنهدة: «لقد فعلت، ولكن هذا لم يفد بشيء، كما أنكر.» واخذت تمر بيدها على شعرها بشرود.

«أما زلت ترسمين؟»

«عندما اجد وقتاً لذلك.»

فأومأ مفكراً: «آه، هذا مجال آخر للشعور بالإحباط، ان احسن طاقاتك تضعينها في عمل لا تؤمنين به، ولا يبقى للرسم إلا الوقت الذي تكونين فيه متعبة.»

استقامت بيني في جلستها: «ما الذي تعنيه بقولك (مجال آخر)؟» فابتسم لها بغموض.

قالت بسرعة: «آه، انظر إلى الوقت، علينا ان نغير ملابسنا.» وتذكرت حقيبته الرياضية، فنظرت اليه مترددة: «هل... ستغير ملابسك؟»

ضحك قائلاً: «مازال لدينا الكثير من الوقت وانت تعرفين ذلك، نعم سأغير ملابسي، انني بانتظار المكواة.»

كان هذا الجواب غير متوقع إلى درجة جعلتها تقول دون ان تفهم شيئاً: «ماذا؟»

فكرر قوله بهدوء: «المكواة، من المفروض ان يكون القماش ضد التكرّش، ولكنني واثق من أن والدتك يمكنها ان تلاحظ ذلك، وهكذا طلبت من إحدى شقيقاتك، وهي ليزلي، أن استعير المكواة لأكويها قليلاً، واظنني في صف ولم يحن دوري بعد، اننا في انتظار ان يغير والدك ملابسه.»

جعلت الدهشة بيني تنفجر ضاحكة: «لا بد أنكم كذلك.»

فقال: «نعم، وقد فهمت ان والدتك تملكها القلق لتباطئه في ذلك.»

ثم نهض واقفاً، واقترب منها، فأجفلت واخذت تبتعد عنه،

ولكنه أمسكها من كتفيها وجرها نحو المرآة، ثم قال باسماً: «انظري إلى نفسك، يا بيني داين، كان ينبغي ان تكوني في لباس المعركة وبيدك كلاشينكوف، لم أر قط من قبل امرأة متوترة الأعصاب سريعة الانفعال مثلك.»

فابتلعت ريقها، ونظرت إلى صورتها في المرآة ورأت وجهها بلون العاج، كما ان عينيها الخضراوين كانتا كبيرتين للغاية، ثم نعم، لقد كان على صواب، فقد كانت عيناها مليئتين بالحذر والاجفال من ان يضرها بشيء، فعادت تقول كاذبة: «لا أدري عما تتحدث.»

«بل اظنك تدرين، وأريد ان اعرف لماذا.»

ابتعدت عنه وهي تقول: «دعني. فليس لدينا وقت لهذه السخافات.» وسارت نحو النافذة.

بسط راحتيه ضاحكاً: «ولكنك حرة، انني مازلت منتظراً الجواب.»

«انك تتصور الأشياء، اذا كنت أنا متوترة قليلاً، فهناك اشياء كثيرة في العرس تستوجب المراقبة.»

فقال: «نعم، معك حق، ولكنك تحبين صهرك المقبل، وليس ثمة تنافس بينك وبين شقيقاتك قد تكون والدتك سريعة الانفعال، ولكن يمكنكن معالجة ذلك، ولهذا انا اتساءل ما الذي يجعلك تبدين بذلك الشكل من القنوط؟»

فأجفلت قائلة: «انك لا بد تتخيل ذلك.»

ابتسم قائلاً: «كلا.»

«ولكن...»

«لقد اخذ اليأس يبدو عليك منذ وصولي إلى بيتكم ليلة أمس، ظننت في البداية ان هذا كان بسببي... فأنت لم تكوني

تعرفينني وكثيرات من النساء يجدن ذلك مرهقاً لهن، أعني ان يستقبلن رجلاً لا يعرفنه ويكون عليهن ان يستضفنه ويكرمنه طوال المساء، ولكن ليس انت، لم يكن هذا ما يقلقك. فأنت يمكنك القيام به بسهولة تامة تماماً كما تتصرفين معي.»

فقالت محتجة: «ولكنني لا افعل ذلك.»

«بل تفعلين، فأنت مهذبة جداً من هذه الناحية، طبعاً، وحسنة الضيافة جداً، لكن في كل مرة نأتي إلى ذكر موضوع ما، لا تريدين التحدث عنه، يجعل من الصعب معرفة ما يدور في ذهنك.»

فسألته: «ولماذا تريد ان تعرف ما يدور في ذهني؟»

«انها الخطوة الأولى المنطقية.»

حملقت فيه: «الخطوة الأولى إلى ماذا؟»

«إلى حيثما نحن ذاهبان.»

«لم تتظاهر بيني بأنها لم تفهمه، فهي لم تر في ذلك أية فائدة، فزولتان غارد لم يكن يبدو عليه الاهتمام كثيراً بالانتقادات الاجتماعية، فهو لهذا لن يدعها تهرب منه، هزت رأسها بحزم: «اننا لسنا ذاهبين إلى أي مكان.»

فقال بنفس الحزم: «بل هو كذلك.»

قالت له: «انك مجنون، فنحن لم نعرف بعضنا البعض إلا منذ اقل من أربع وعشرين ساعة، لقد كنت طلبت مني الدخول إلى غرفتك فرفضت، وانتهت القصة.»

فقال ضاحكاً: «بالعكس، فقد ابتدأت القصة.»

اجابت غير مصدقة: «اتعني انك مازلت تلاحقني لأنني رفضتك؟ آه، كن واقعياً، أرجوك.»

فقال: «لقد كنت اخبرتك بأنني اذا ابتدأت بمشروع فلا بد من ان أنهيه.»

حملقت فيه: «انني لست مشروعاً.»

«بل أنت كذلك، ومن المحتمل ان تكوني من اصعب المشاريع التي وضعت يدي عليها.»

أخذت تقول بحرارة: «ولكنك لن تضع يدك عليّ.» وسمعا في هذه اللحظة، طرقاً على الباب، فقفزت مجفلة ثم سكتت وقد تملكها الارتباك والسخط.

وإذ رأى زولتان ارتباكها، ابتسم لها مطمئناً ثم سار نحو الباب.

كانت القادمة ليزلي حاملة معطفاً في علاقة وهي تقول: «بيني، هل تعرفين أين هو الاستاذ غادر، لقد كويت...»

ثم سكتت وهي ترى ابتسامة زولتان وشقيقتها واقفة عند النافذة، وقد توهج وجهها بينما عيناها تنفثان لهباً اخضر، وشعرت ليزلي بالارتباك وهي ترى الاضطراب على شقيقتها بينما زولتان هادىء وكأنه في بيته.

فقالت: «آه، أنا آسفة، لم اكن اقصد مقاطعتكما.»

لم تقل بيني شيئاً، كل ما قد تقوله سيجعل الأمر أسوأ، لقد اصبح الآن اثنتان من شقيقاتها تظنان بأنها تقيم علاقة مع زولتان، ورأته يعي تماماً ما يجري، ويستمتع بذلك.

قال زولتان لليزلي برقة: «كم انت بالغة اللطف.» واخذ من يدها علاقة المعطف: «لقد جئت لأرى ان كانت شقيقتك تريدني ان أقود سيارتها عند ذهابها إلى مكان العرس، حيث ان قيادة السيارة لا تصلح بالكعب العالي.»

قالت ليزلي: «يا لك من شهم.» ونظرت إلى بيني بشيء من القلق. «هل انت بخير، يا بيني؟»

اجابت بيني: «بأتم خير، وكما قلت، الاستاذ غارد بالغ الشهامة.»

قالت ليزلي مسرورة دون ان تنتبه إلى التهكم في صوت شقيقتها: «ان زوجي لا يمكن ان يفكر في أشياء كهذه.» وابتسمت لزولتان مستحسنة عمله: «هل ستتأخران؟ ان والدتي قلقة كما ان والدي يرفض الذهاب إلى العرس قبل ان يقدم شراباً لكل شخص هنا.»

فقالت بيني: «لقد سبق وشربت كوب عصير ولا أريد المزيد.»

تحولت ليزلي تريد الخروج وهي تقول: «حسناً، عليكما ان تأتيا على كل حال.»

فقالت بيني: «سآتي حالما انتهي من ارتداء ملابسي.»

تحولت نظرات ليزلي إلى زولتان الذي قابلها بهدوء: «وأنا أيضاً.» ثم اغلق الباب خلفها، ورأت بيني كتفيه وهما تهتزان بضحك مكبوت، فقالت له: «ما الذي يضحكك؟ هل تضحك من أسرتي؟ ماذا ستقول أسرتي عن ذلك؟»

أرجع رأسه إلى الخلف وهو ينفجر ضاحكاً، فصرخت فيه وهي تخطو إلى الأمام: «لماذا تضحك؟ لا أريد ان تضحك مني.»

تعثرت قدمها بحاشية روب الحمام فكادت تقع على وجهها لولا ان أمسك بها يثبتها وهو يقول ضاحكاً بهدوء: «ليس لك ان تقاتليني، فأنا نصيرك ولو قاتلك العالم أجمع.»

«أريد ان اعلم ما يضحكك.»

«لاهتمامك بما يفكر اهلك به عنك وعني.»

فنظرت اليه بحيرة: «ولماذا؟»

«حسناً، يا عزيزتي، لقد حاولت جهدك ان تجعليهم يعتقدون باننا قد توصلنا إلى... إلى تسوية.»

عاد يضحك وهو يراها تحملق فيه، وهو يقول: «هل ظننت ان سمعتك في المناعة يمكنها ان تحميك من الظنون؟ هيا، يا بيني، كوني واقعية، ماذا كنت تظنين لو انك دخلت إلى غرفة شقيقتك فوجدت عندها رجلاً يسقيها المرطبات بينما هي في روب حمام؟ ما الذي تستنتجينه حينذاك؟»

قالت وقد تجهم وجهها: «يدهشني انك لا تخجل من الاعتراف بذلك.»

فقال: «أحقاً ادهشك ذلك؟»

تأوهت ساخطة: «كلا، كلا في الحقيقة، فأنت لا تخجل من شيء، أليس كذلك؟»

فقال: «إذا كنت لا اخجل من القيام بأمر ما، فأنا لا اخجل من الاعتراف به، انه مبدأ بسيط للغاية ولكنه ناجح، عليك ان تجربيه احياناً؟»

فقالت: «أنا لا افعل شيئاً أخجل من الاعتراف به.»

«ليس هذا ما عنيته، عنيت ان الحكمة لا تدع مجالاً لك لكثير من العمل، أليس كذلك؟ ويبدو انك تخجلين من الاعتراف بهذا.»

«كلا، فأنا انسانة مستقلة افعل ما أريد...»

الفصل السابع

سار نحو النافذة ينظر منها وهو يقول: «انني أعشق الحدائق الانكليزية.»

فقالت: «شكراً.» اغمضت عينيها لحظة، ثم قالت: «ان شقيقتي ستزوج بعد أقل من ساعة، وأنا لحب ان لكون موجودة هناك.»

ابتسم دون ان يتحرك من مكانه، فقالت متوسلة: «دعني أذهب.»

اتسعت ابتسامته: «اقنعيني بذلك.»

فقالت بمرارة: «انك لست شهماً، أليس كذلك؟»

«كلا.» قال ذلك بلهجة لا أسف فيها، وهنا قرع الباب مرة أخرى، فأجفلت بيني: «بيني، بيني، هل انت موجودة؟» كانت تلك والدتها.

لم يتحرك زولتان وأنما اخذ ينظر إليها وهي تفتح الباب.

نظرت اليها والدتها بذعر وهي تقول: «حبيبتي.»

قالت بيني بسرعة: «أعلم.. اعلم انني نسيت الوقت.»

«ولكن يا عزيزتي سيخرج موكب العروس في أي دقيقة.»

«نعم، أعلم ذلك أنا آسفة، سأنزل بعد عشر دقائق.»

بدا عدم الرضا على وجه الوالدة: «أسرعي إذن، هل اساعدك في ارتداء ثيابك؟»

أجابت وكأنها تصرخ: «كلا.»

كادت عينا الوالدة تخرجان من محجريهما، وفكرت بيني في أن والدتها لا بد تلقت هذا الجواب من سيليا ووصيفتيها، بينما تعودت هي ان يرق قلبها وتدعها تدخل، انما ليس في ظرف كهذا يوجد فيه رجل في غرفتها.

قالت الوالدة: «انك صنعت باقات الزهور بشكل بالغ الجمال، يا حبيبتي ولكن هذا جعلك تتأخرين بشكل فظيع، انك بحاجة إلى من يسرح لك شعرك، انه أشعث للغاية.»

بدا عليها وكأنها تريد ان تدخل، ولكن بيني شددت قبضتها على قبضة الباب. «كلا يا والدتي.»

«ولكن...»

فقالت بيني: «انك تعطلينني يا والدتي، إذا أردتني معكم بعد عشر دقائق، فاذهبي.»

طرفت الوالدة بجفنيها، ليس من عادة بيني ان تكلمها بهذه اللهجة في حياتها، وأغلقت بيني الباب بحزم، ثم التفتت إلى زولتان الذي كان مايزال واقفاً عند النافذة، ثم تناولت العلاقة التي عليها معطفه وهي تقول غاضبة: «هاك، خذه واخرج من هنا.»

• • •

رغم كل شيء كانت بيني جاهزة في الوقت المناسب، واسفل كانت والدتها دامعة العينين بينما كان والدها يبدو فارغ الصبر.

كما انها وجدت زولتان قد سبقها في النزول، وكان قد ارتدى بذلة فاتحة اللون، ومعها قميص منشى جعلت عينيه

تبدوان داكنتي الزرقة، بدا منظره في أعين وصيفتي العروس رائعاً، ولكنه لم يبد كذلك في عيني بيني، خصوصاً عندما قال لها وعيناه تكتسحانها: «تبدين رائعة للغاية.»

فقالت ببرودة: «شكراً.»

كان ثوبها الحريري جديداً، منقوشاً بدوائر مشمشية اللون وأخرى خضراء تحاكي لون عينيها والبريق الذهبي في شعرها، وبدت في غاية الرشاقة بقوامها الأهيف.

قال: «انه محتشم تماماً.» وبدا من لهجته وكأنه كان يضحك في سره: «انك سيدة غاية في الرقة والفتنة، أليس كذلك؟»

بعثت النظرة التي رأتها في عينيه، الدفء في جسدها، كانت اكثر من مجرد الابتسامة، كانت المشكلة هي انه اصبحت تشعر وكأنها تحبه.

ولكن كلا، لا يمكن هذا، لا يمكنني ان احتمل ذلك، لا استطيع ان احتمل الوقوع في غرامه، لا استطيع، لا يمكن ذلك في مثل هذا الوقت القصير، ليس بعد ان هجرت كل هذه الأمور إلى الأبد، ليس وأنا اعلم ان كل ما يريده هو ان يمضي وقتاً قصيراً ممتعاً، وكل ذلك بتحريض من أسرتي التي تحبني.

اغرورقت عيناها بالدموع، شاعرة باللهفة إلى ان ينتهي هذا العرس بسلام.

نظر زولتان اليها مفكراً: «لماذا في كل مرة أمدحك فيها يبدو عليك وكأنني اوثقتك إلى خشبة التعذيب؟»

«انك تتخيل هذه الأشياء.»

«كلا، هذا غير صحيح.» ومد يده يلمس أهدابها يمسح بأصبعه دمعة لم تنهمر، فحدقت بيني إليه جفلى، وتلاقت اعينهما، كان يبدو رزيناً جاداً وقد تلاشت ضحكته الدائمة، وبدا عليه التردد.

قطع عليهما هذا الموقف صوت سيليا وهي تقول محتضنة باقة الزهور: «بيني انك نابغة، لم أرقط من قبل شيئاً بهذا الجمال، ان بائع الزهور لا يمكنه صنع باقة بهذه الروعة.»

فقالت الوالدة: «نعم، انها جميلة فهي غير عادية.»

عادت سيليا تقول: «سأفعل لك نفس الشيء في المرة التالية.» قالت ذلك لبيني بمكر، قبل ان تبتعد.

فهزت الوالدة رأسها: «آه، انها تتكلم دون تفكير، لا تهتمي يا حبيبتي.» ووضعت يدها برقة على ذراعي بيني: «انك سعيدة جداً في وضعك هذا، وهذه الأيام اصبح كون المرأة عاملة مستقلة، شيئاً معتاداً تماماً، آه كلا يا مينكي لا تفعلي هذا.» وكانت هذه الجملة الاخيرة موجهة إلى وصيفة العروس الطفلة والتي كانت تأكل باقة الزهر التي في يدها، كانت بيني تحس بزولتان والذي كان واقفاً بجانبها، وهو يضحك بصمت.

فقالت متأوهة: «يا للأمهات... انهن يسببن الشعور بالحرج.»

فقال: «اعتبري نفسك محظوظة، فقد تركتني والدتي عندما كنت في الثالثة، ولم تعد إلا بعد ان اصبح دخلي السنوي مئة الف دولار.»

نظرت اليه بحدة، كان يبدو عليه عدم الإكتراث، ولكن شيئاً كهذا هو أمر مؤلم.

فقالت له برقة: «لم يكن حظك جيداً بالنسبة للحياة العائلية، مثلي انا أليس كذلك؟»

«اظنك قلت ان أسرتك تسبب لك الألم.»

«اظنك علمتني شيئاً مختلفاً عن هذا.»

قال بعينين لامعتين: «اتعنين بأنني أصلح مرافقاً لك؟»

ابتعدت عنه قائلة: «علي ان اذهب لأرى مسألة السيارات.»

كان هناك الفوضى المعتادة عندما اخذ والدها ووالدتها يصدران التعليمات في نفس الوقت، ففضت بيني النزاع وتحدثت باختصار مع ليزلي وانجيل، وسرعان ما كانت تقود الناس نحو السيارات إلى سرادق العرس. ذهبت الوالدة مع أنجيل وزوجها، ما جعل بيني تبقى وحدها مع سيارتين رسميتين لوصيفات العروس وسيليا ووالديها، تأوهت طويلاً وهي تسير نحو سيارتها مفكرة في انه لم تحدث أية مصيبة حتى الآن، وإذا بصوت هازل يقول في سيارتها: «نهاية الفصل الأول.» فرفعت رأسها مجفلة.

قال زولتان معاتباً: «لا أراك نسيتني؟» كان يتكىء إلى باب المقعد المجاور لمقعد السائق، وكان واضحاً أنه كان بانتظارها. «اتراك تفكرين حقاً في الاستغناء عن صحبتي؟»

شعرت بدفء يكتنف فؤادها، ووجدت نفسها تبتسم له دون تحفظ، كما لو كانا حبيبين ومد يده اليها قائلاً: «هيا، يا ساندريلا، هاتي المفاتيح، انني حوذي عربتك اليوم.»

ناولتها له دون نقاش، بينما أشار اليها بالدخول محتفياً بها وكأنه سائق أصيل، ثم سألها وهو يجلس بجانبها: «مرهقة؟»

أجابت دون تفكير: «قليلاً، فأنا لم أنم جيداً.»

«حدثيني عن ذلك.»

حاولت ان تكبح احمرار وجهها: «ثم هناك كل هذا الركض منذ الصباح، هنا وهناك، وطبعاً، لو كنت ادركت انني كنت بين يدي مستشار إداري محترف، لما شعرت بالقلق.»

«كم هذا ممتع، لو كنت مكانك لقلت ان الأكثر احتمالاً هو طردي من المدينة، لم اشعر بأنك كنت مسرورة من جهودي هذا الصباح.»

«كلا، لم أكن مسرورة تماماً، مع الأسف، ولا أدري ما الذي تملكني.»

فتمتم قائلاً: «لا تعلمين؟ يجب ان نتحدث في هذا الأمر فيما بعد.»

انطلق بالسيارة، ورأته يسر بها بسير وسهولة وكأنه كان يقود سيارتها الأثرية طوال حياته، اتبع إرشاداتها إلى السرادق حيث أوقف السيارة في المكان الضيق الذي تركوه لها، وذلك بكل حذق ومهارة.

نظرت إلى يديه السمراوين القويتين على عجلة القيادة، وشعرت بتلك الرجفة الخفيفة تعاودها، وكأنها خفقة جناح فراشة سرعان ما تلاشت قبل ان تنتبه اليها.

ما الذي يحدث لي؟ ليس من عادتي أن اشعر بذلك نحو الرجال، لا أريد ان افكر بهم، لا أريد.

وعندما اخذ يساعدها في الخروج من السيارة، تجنبت النظر في عينيه، ولكن شعوراً تملكها بأنه كان يضحك منها، دخلا السرادق حيث الاحتفال بالعرس، جنباً إلى جنب.

طوال فترة عقد القران كانت تشعر بوجوده بقربها.

وعندما خرجا إلى أشعة الشمس، كانت تعليقات الضيوف تدور حول العروسين والعرس: «ما اجمله من عرس... انها عروس متألقة حقاً.» وتنهدت السيدة كاربنتر العجوز، قائلة بحنان: «يا له من رجل وسيم.»

نظرت بيني إلى زولتان واقفاً يتحدث إلى احد زملاء ميتشيل القدامى في الجامعة.

فقالت: «نعم.» وحاولت ان تغطي مشاعرها بعذر مقنع: «طبعاً بقامته الرائعة هذه وتلك العينين الزرقاوين المحيرتين، وذلك الشعر الأشقر الفضي فوق الوجه الفتي...»

نظرت اليها السيدة كاربنتر باستغراب: «ولكنني كنت أتحدث عن العريس، يا عزيزتي.»

قالت بيني وقد احمر وجهها: «آه، نعم، طبعاً.»

«انهما عروسان جميلان، أليس كذلك؟» فأومأت بيني برأسها وذهبت المرأة لتقبل سيليا، بينما كان المصور يجلس وصيفات العروس في وضع مناسب للتصوير. عاد زولتان اليها يقول: «يبدو عليك الاضطراب.»

حولت نظراتها عنه قائلة: «كان الحر شديداً في الداخل.»

رفع حاجبيه الكثيفين: «كنت اظن الجو بارداً هناك.»

وكان هذا صحيحاً، وهزت هي كتفيها، لم تكن تريد ان تشرح له السبب الحقيقي للإحباط الذي لاحظه عليها.

سألها هازلاً: «ما الذي ترتدينه تحت هذا الثوب؟ تنورة طويلة منفوخة؟»

شعرت بوجنتيها يتوهجان: «هذا ليس كلاماً للتفكهة ولا ينم عن ذوق.»

«هذا يعتمد على وجهة نظرك.»

نظرت إليه بعينين تنفثان لهباً، لكنه ضحك وقال: «ابتسمي، فالناس ينظرون إلينا.»

وكان كلامه صحيحاً، ذلك ان المصور الفوتوغرافي لم يكن الوحيد الذي يحمل كاميرا، ذلك ان صديقاً للعريس كان يوجه نحوهما عدسة كاميرته، وبسرعة سوّت بيني من ملامح وجهها المتوترة، اما هو فقد وقف بجانبها واضعاً يده على كتفها، فقالت له بصوت خافت: «ابتعد عني.» ولكنه لم يتحرك: «إبتعد.»

فقال: «ليس ثمة رجل عاقل يترك هذه الفرصة تفلت منه.»

وهكذا كانا بهذا المظهر الحميم عندما جاءت والدتها، كانت دموع الوالدة قد جفت، ولكن جفون العمة كانتا ماتزالان محمرتين من البكاء، وكانت تقول: «يا له من عرس رائع، مؤثر.»

أجابت الوالدة بشيء من الحدة: «كل الأعراس بهذا الشكل.»

ابتلعت بيني ريقها فجأة، كان زواجها هي في مكتب التسجيل من دون ضيوف، ولكن منظر سيليا اثناء عقد الزواج، ودموعها جعلاها تشعر بغصة في حلقها، نظرت إليها والدتها بعينين ضيقتين بينما ابتسمت العمة متجنبة عيني بيني الساخطتين: «فهمت انك غير متزوج، يا أستاذ.»

فقال زولتان ضاحكاً: «لم أتزوج قط من قبل، فالزواج مغامرة كبرى.»

لكن هذا الجواب كما اخذت بيني تفكر مسرورة، لم يصدم العمة ماري كما كان زولتان يتوقع، وهي التي زوجت ابناءها الثلاثة المغامرين بالرغم منهم.

قالت له العمة ماري: «هذا يعني انك لم تجد بعد المرأة المناسبة.»

بقي وجهه الوسيم هادئاً وهو يقول برزانة بالغة: «من الممكن ان تكوني على صواب.»

صرفت بيني باسنانها، بينما كانت الحدة في نظرات العمة ماري، وقالت الوالدة: «علينا ان نذهب يا عزيزتي لكي نأخذ صورة عائلية.»

استغرق التقاط الصور وقتاً طويلاً، فقد أطارت رياح شهر مايو القبعات ونقاب العروس في كل اتجاه، ما توترت معه اعصاب المصور رغم مودته ولطفه، وفي نهاية الأمر كانت بيني ترتجف برداً في ثوبها الحريري، وعندما انتهى اخذ آخر صورة تراجعت تحتمي من الريح بأجمة هناك وإذا بصوت مألوف يقول في أذنها: «دعينا نذهب.»

وإذ قفزت مجفلة، عاد يقول: «هيا بنا.»

«لا استطيع.» ونظرت باكتئاب إلى حيث كان والدها واقفاً بين العروسين يحتضنهما بذراعيه، بينما كانت والدتها واخواتها يقفن جانباً ينظرن، ثم قالت: «انها أسرتي... عليّ ان انتظرهم.»

«ولكنك تشعرين بالبرد، انتظريهم في البيت.»

«ولكن...»

فقال: «اذا كانوا يريدون التقاط المزيد من الصور لك، فليكن ذلك عند المدفأة، انني سأعيدك.»

كان هذا مغرياً للغاية، فذهبت بيني معه دون مقاومة.

في السيارة قال لها: «مسكينة أنت يا ساندريلا، انك لا تحسنين الدفاع عن نفسك، أليس كذلك؟»

«ماذا تعني؟»

فقال منزعجاً: «كلما صفقت أسرتك، تقفزين مجيبة.»

تنهدت: «انك لا تفهم، ان انتظار مغادرة العروسين أولاً، هو تقليد متعارف عليه.»

نظر اليها بطرف عينه: «حتى ولو تعرضت لالتهاب رئوي؟»

«أنا لا اشعر...» وسكتت عندما تملكتها رجفة عميقة لم تستطع إخفاءها، فقالت: «تباً لذلك.»

فضحك بينما ابتسمت هي بالرغم عنها، وهي تقول: «ألا تتعب مطلقاً من كونك على صواب دوماً؟»

لمعت عيناه الزرقاوان: «إذن فأنت توافقين انني على صواب دوماً.»

«انك تظن هذا ولكنني اشك في ذلك.»

«ذلك لأنك لم تعرفيني مدة طويلة.»

ضحكت ساخرة: «انها مسألة رأي.»

فهز رأسه قائلاً: «سترين.»

قالت متهكمة: «ألا ترى ان غرورك زائد عن الحد؟»

«لا شيء في شخصي زائداً عن الحد، كان يوم سعدك ذلك اليوم الذي عرفتني فيه يا ساندريلا.»

قالت وهي تفكر في تأنيب والديها لها لمغادرتها المكان وحدها وعدم انتظارها مغادرة العروسين مثلهم، قالت: «أشك في ذلك.»

عاد يقول: «سترين.»

لم تجب. فقد تعلمت انها لا يمكن ان تهزم زولتان، والأفضل لها ان تتجنب أي تصرف، ولهذا ما ان وصلا إلى

البيت حتى صعدت إلى غرفتها مباشرة حيث جلست امام المرآة واخذت تصلح من زينتها، ولم تخرج إلا بعد ان ساد الضجيج في المنزل، ما أدركت معه ان الحفلة قد ابتدأت.

عندما هبطت السلم، كان والداها والعروسان مازالا واقفين، يستقبلون المهنئين، ولكن كل شخص كان في الغرفة السابحة بالأزهار وكانت انواع المرطبات تدور عليهم.

سكبت بيني لنفسها كوباً من العصير، ثم اخذت زجاجة مياه معدنية ودخلت إلى غرفة الاستقبال حيث وضعتها خلف احدى الزهريات.

نظرت حولها تبحث عن اخواتها، كن جميعاً مشغولات بالحديث إلى اصدقاء قدماء ومعارف جدد، ولم تشأ الإعتراف لنفسها بأنها كانت تبحث عن زولتان غارد أيضاً، لكنها رأته على كل حال وكان يتحدث إلى شخصين لم تعرفهما، ويبدو انهما صديقان لميتشيل، وربما كانا تلميذين سابقين لزولتان، واشاحت بيني بوجهها وهي تحدث نفسها بأنها مرتاحة لقرب انتهاء واجبات مرافقها، وقد حان الوقت الآن لإداء واجبات أخرى، فاستقامت في جلستها، ومن ثم اخذت توزع اهتماماتها.

كانت حفلة كبرى ما بدت معه لبيني وكأنها لن تنتهي أبداً، كانت تتحدث وتشرب مياهها المعدنية، إلى ان امتلأ رأسها بالضجيج، وتألمت قدماها من الوقوف، وتمنت لو تستطيع المغادرة، لكن كان مايزال هناك الوليمة وإلقاء الحديث الرسمي، وفكرت لحظة قصيرة بلهفة، في طريقة تصرف زولتان نحو تقاليد الزفاف المتبعة، وإذا بصوت يقول في أذنها: «دعيني ابعدك عن كل هذا.»

انها تعرف جيداً هذا الصوت الفكه، وتملكتها صدمة. ولسبب ما اخذ قلبها يخفق بعنف وهي تسمع هذه الكلمات غير المتوقعة.

اخذت تسعل بشدة، ثم تنحنحت وهي تمسح عينيها وتتمالك نفسها، ثم اخذت جرعة من المياه المعدنية قبل ان تلتفت إليه قائلة: «اظنني سمعت هذا من قبل.»

فقال باسماً: «وستسمعينه مرة أخرى.»

قالت له بفتور: «ان عقلك لا يتغير.»

فكر لحظة ثم قال: «لم يسبق ان فكرت بهذا الشكل، ويبدو ان لك تأثيراً غريباً عليّ.»

رفعت حاجبها قائلة: «هل عليّ ان اشعر بالزهو لقولك هذا؟»

«هذا يعتمد على ما اذا كنت تحبين ان يكون لك هذا التأثير عليّ.»

اجابت ساخرة: («إذا كنت احب؟») اتعني انني أريد ان اشجعك على ان تجعلني اضحوكة؟»

«انني لا اجعلك اضحوكة، يا ساندريلا.»

تنهدت تسأله: «وماذا غير ذلك تسمي هذا؟»

بدا متردداً لحظة، فأمالت رأسها جانباً تنظر اليه، وقد بدا عليها التحدي، فنظر اليها لاوياً شفتيه: «اظننا بحاجة إلى مزيد من الوقت لهذا الحديث، وكذلك شيء من الإنفراد.» قال ذلك وقد بدا الأسف في لهجته.

مضت لحظة لم تفهمه بيني فيها، ولكنها حين أدركت ما يعنيه، تراجعت خطوة إلى الخلف، بشكل لا إرادي وقد رأت إشارة الخطر، ضاقت عيناه وقد لاحظ تراجعها هذا، وفجأة اصبح صوته بقوة الفولاذ وهو يقول: «انفراد كامل.»

انقذ بيني اضطراها للجواب اعلان ان الوليمة جاهزة، وذلك في الخيمة المقامة في الحديقة، كان مقعدها عند نفس المائدة مع زولتان ولكن بعيدة عنه، ولم تدرك ما اذا كان هذا أدعى للارتياح أم للإنزعاج، كل ما كانت تعلمه هو أن أول ما احست به هو خيبة أمل حادة.

لكنها اخذت تحدث نفسها بأن تكون على حذر، فهو سيرحل هذه الليلة أو غداً على الأكثر، ومهما كان قوله عن افتتانه بها، فإن أول ما سمعته منه هو أن مشاعره نحوها هي مؤقتة تماماً، وان الأفضل لها أن لا تنس ذلك.

ركزت اهتمامها على جارها عند المائدة، وكان هذا رجلاً بعيد القرابة لصهرها الجديد.

مرة أو مرتين نظرت إلى زولتان فوجدته ينظر اليها، وكان ثمة تقطيب خفيف في جبينه، فارتجفت قليلاً رغم انعدام البرد في تلك الخيمة، لم تستطع ان تتذكر ان احداً نظر اليها بمثل هذا الجد والتصميم، من قبل، فقد بدا وكأنه كان يريدها ان تبسط اسرارها أمامه.

حولت نظراتها عنه، حسناً، انه لن يحصل على ذلك، لم يكن ثمة احد يعرف كل أسرارها، فقد بذلت جهدها في سبيل اقصائها إلى حيث الظلام، ولا يمكن لأي غزل أو لهو عفوي بأن يعيدها إلى الضوء.

كانت الكلمات تلقى على المائدة الآن، وكانت خلال هذا كله موجهة اهتمامها إلى زولتان، ولكن هذا لم يكن يعني انه كان ينظر اليها طوال الوقت، لقد تملك بيني الأسى في الواقع وهي ترى نفسها اكثر اهتماماً به في الوقت الذي كان هو يولي جارته اهتمامه، والتي كانت امرأة حمراء الشعر جمة

النشاط والحيوية كانت قد استأجرت اثناء الصيف الماضي مرسماً في هذه المنطقة.

حدثت نفسها بأن عليها ان تضبط اعصابها، إذ لا شأن لها بمن يتحدث اليها وهو الذي سيفارقهم بعد هذا النهار فلا تراه بعد ذلك أبداً.

ابتدأت الموائد تخلو، فدفعت طبق طعامها الذي لم تمسه، بعيداً عنها ثم نظرت إلى ساعتها، وانتبهت إلى ان خفقات قلبها كانت تتسارع بقوة.

قال صوت من فوق رأسها: «ها أنت ذي.» لم يكن هذا زولتان، فهذا ينطق بالكلمات بصعوبة كما انه ودود غير متسلط، وكان هذا وصيف العريس صهرها الجديد وكان قد ألقى كلمة مع الخطباء.

رفعت وجهها اليه باسمة، فجلس بقربها ومد يده إلى كوب المياه المعدنية الذي امامها، وهو يقول باسماً: «انه عرس رائع، أليس كذلك؟»

فأجفلت، لم تكن تريد ان تطيل الجلوس والحديث معه، وما دام قد جلس فهي لن تستطيع التخلص منه. «انني مسرورة لاستمتاعك به.»

«ولكنني قلق بالنسبة إلى كلمتي التي ألقيتها، لا أدري اذا كانت جيدة.»

فقالت بلباقة: «لقد كانت كلمة ودوداً للغاية.»

فبدا عليه السرور: «انا وميتشيل صديقان منذ ايام المدرسة، حتى اننا ذهبنا إلى الجامعة معاً.»

«اصحيح؟» وتذكرت فجأة فقالت تسأله بشكل عفوي: «انك تعرف استاذه القديم، إذن، أليس كذلك؟»

فاتسعت ابتسامته: «اتعنين زولتان؟ اعرفه طبعاً، لقد اعتدت ان أتنزه على الدراجة مع صديقاته عندما كان ينتهي منهن.»

لم تصدق اذنيها وسألته: «ماذا؟»

لكن الرجل أوما يقول ببشاشة: «لقد كان ماكراً حقاً، زولتان ذاك، فكل الفتيات كن يعشقنه، لم اعرف تلميذة له لم تقع في غرامه.»

لم تدهش بيني لذلك، فكل تصرفات زولتان كانت تدل على ذلك، ولا بد انه أمضى سنوات من التدريب قبل ان يصل إلى هذا الحد من المهارة في اجتذاب النساء، فلماذا إذن تشعر بمثل خيبة الأمل هذه وهي تسمع هذه المعلومات؟ فهي ما كانت لتتوقع غير هذا لو أنها كانت فكرت في هذا الأمر.

قالت له ببرودة: «وكنت انت تأخذ من تفيض عن حاجته؟»

نظر الرجل اليها مستغرباً وقد شعر في لهجتها بشيء ما، ثم قال: «لقد كن يتصرفن بشكل مزعج للغاية، البعض منهن كن ينتظرنه عند باب بيته لحين عودته.

قالت: «لا بد انه كان يشكرك لمساعدتك له؟»

بدا الشك على وجهه: «كان شاباً رقيق القلب، لقد قلت له مرة: «زولتان، لا يمكنك ان تدع هؤلاء المخلوقات الحمقاوات يسيطرن على حياتك. ولكنه لم يستطع قط ان يحمل نفسه على ان يكون فظاً خشناً معهن مهما كن مزعجات، اظنه كان يشعر بالأسف لأجلهن.»

أجفلت بيني ولكن ليس لأن ثمة سبباً يجعل زولتان غارد يشعر بالأسف لأجلها، قد يكون اطلق عليها اسم ساندريلا، وقد يكون لاحظ ان لديها آلاماً تخفيها، ولكنه على الأقل في

الوقت الحالي، لم يكن لديه فكرة عن كنهها، وسيبقى الأمر بهذا الشكل على الدوام.

انهى الرجل شرابه ثم اقترب منها بكرسيه وهو يقول: «الأعراس دوماً تجعلني عاطفياً.»

«هل تذهب إلى كثير منها؟»

فقال: «الأعراس؟ على الدوام، ان اصدقائي يتهافتون على الزواج كالذباب هذه الأيام.»

ثم تقدم نحوها يسألها: «هل انت متزوجة؟» وعندما ترددت في الجواب قال يشجعها: «أنا لست متزوجاً.» ويبدو انه أساء تفسير ترددها، فأرادت صرف اهتمامه عنها، فقالت بمرح: «ألم تجد المرأة المناسبة بعد؟»

بدا عليه الاكتئاب لحظة، ثم قال: «آه، لقد كنت وجدتها ولكنها... كانت تحب رجلاً آخر.» وهز رأسه ثم عاد إلى الموضوع الذي كان يهمه فسألها: «وماذا عنك انت؟ ألم تعثري على حب حياتك بعد؟»

أجابت بحزم: «لقد عثرت عليه ثم فقدته، وكان هذا منذ زمن بعيد.»

فعاد يسألها: «إذن، فقد احببت ثم فقدت حبك.» وعاد يقترب منها من جديد، حتى انه كاد يوقعها عن كرسيها، فأشاحت بوجهها عنه ولكنه عاد يقول: «أنت... محطمة القلب، وانا.. محطم القلب.»

قالت بصوت بارد كالثلج: «ان قلبي غير محطم.» ولكنه لم يعد يستمع اليها بل مد يده يحاول لمسها، فدفعتها عنها بعيداً، ولكنه لم يلاحظ ذلك، وبقي مركزاً نظراته في عينيها ويده تحاول تلمس ثوبها الحريري.

شعرت بيني بالإرتباك فنظرت حولها، ولكن الجميع كانوا مشغولين بالكلام والضحك، لم يكن هناك من ينظر اليهما، لم يحاول احد ان يقترب منهما ويصرفه عنها، وهكذا كان عليها ان تتعامل مع الرجل بمفردها، لا بأس، فلديها الكثير من التجارب، كما اخذت تفكر عابسة.

دفعت كرسيها إلى الخلف بهزة مفاجئة جعلته يجفل بينما سقطت يده بعيداً، ثم قالت له: «انك بحاجة إلى استنشاق هواء نقي.» فبدا على وجهه تعبير غريب هو مزيج من الاستياء والمراوغة، فمد يديه يمسك بكرسيها وذراعاه تثبتانها مكانها من الجنبين، كان من القرب منها، بحيث شمت رائحة القرنفلة الذابلة المثبتة في عروته، وضايقتها انفاسه فأشاحت بوجهها وقد التوت شفتاها اشمئزازاً.

أدركت بخبرتها، ما قد يحدث بعد هذا، ومن ثم لن يكون بإمكان الضيوف ان يتجاهلوه...

فقالت له: «دعني وحدي، أرجوك.»

حاولت ان تبدو هادئة رغم ان اظفارها كانت تكاد تنغرز في راحتيها، كما ان عنقها آلمها وهي مشيحة عن ذلك المتطفل النهم، كان من المهم ان تبقى هادئة لا تظهر خوفها أو اشمئزازها فلا تمنحه بذلك سبباً لكي يؤذيها.

فقال: «انك لا تعنين ذلك حقاً.»

كان ذلك بالضبط ما كان آلين يقوله دوماً، وبالرغم من قرارها الحكيم، إذا بها تضحك، بدا في عينيه لمعان بشع، وفجأة أدركت غلطتها، لقد تفاعل في نفسه الاحساس بالإهانة، ما جعله ينقض عليها بوجهه الثقيل، وحاولت هي ان تتخلص منه، ولكن لحظة المفاجأة والتردد اضاعت منها

الفرصة، فقبض عليها بيديه غير الثابتين وقرب وجهه من وجهها، وشعرت هي بالرعب يتملكها، فصدر عنها صوت ضيق وكرب كحيوان بري معذب.

عند ذلك وبشكل لا يصدق، رأت نفسها حرة، كان زولتان غارد يوقف الرجل الذي كان يضايقها، على قدميه وكان هذا يبدو عليه الارتباك، كما ان كرسيه كانت منقلبة على جانبها، بينما الأستاذ غارد يعيدها كما كانت، وهو يبتسم له قائلاً: «مرحباً يا أيان، ما اجمل ان أراك، كيف حالك؟»

هز الوصيف رأسه، كان عليه لكي يواجه زولتان، ان يدير ظهره لبيني، وببطء اخذت تلتقط انفاسها وتبسط قبضتيها، ثم وقفت بحرص وهي ترتجف بشكل سيء.

ألقى زولتان عليها نظرة من فوق كتف الوصيف فغيرت رأيها بشكل مفاجيء، ذلك انه لم يكن يبتسم كانت تنفثان ملتويتين بشكل يوحي بالابتسام، ولكن عينيه كانتا تنفثان اللهب، فقد كان غاضباً بشكل بالغ العنف.

الفصل الثامن

أخذ زولتان يبعد الوصيف برفق، ما رأت معه بيني الطريقة التي كان الاستاذ غارد يروض بها تلاميذه المشاغبين.

كان زولتان يقول له بعطف بالغ: «ما الذي تحتاجه هو قهوة، قهوة دون حليب، انهم يخفون إناء القهوة هناك خلف تلك الشجرة.»

نظر اليه الرجل باكتئاب، ثم قال: «انك رجل طيب، يا زولتان.» كان واضحاً انه لم يكن لديه فكرة عن ان زولتان كان يريد التخلص منه.

فقال زولتان وهو يديره في الاتجاه الصحيح، ثم يدفعه بكتفه برفق: «القهوة هناك.»

اخذت بيني تنظر اليه وهو يذهب، وقد اخذ تنفسها يعود إلى طبيعته ببطء، ثم قالت لزولتان بصوت خافت: «شكراً.»

إستدار ينظر اليها فأخذت تنظر اليه هي أيضاً، وتملكتها صدمة خفيفة وهي تدرك ان ذلك الصوت الهادىء كان مجرد خداع، فقد كانت عيناه تتألقان غضباً.

قال لها بصوت هادىء يخفي ثورة عنيفة: «ما الذي جعلك تتحدثين مع ذلك الأحمق؟»

أجفلت قائلة: «أنا آسفة.»

فقال باختصار: «وهذا ما عليك ان تكونيه، كيف سمحت لذلك بأن يحدث؟ انك لست طفلة.»

حملقت فيه وقد فوجئت بقوله هذا، شاعرة بمزيج من

الإهانة والضيق، كيف استطاع زولتان ان يلحظ ما حدث بينما لم يلحظ ذلك أي من الموجودين في الغرفة؟

حاولت ان تكذب عليه: «ماذا تعني؟ لم يحدث شيء.»

امتدت يده بعنف يمسك بمرفقها.

«لماذا ترتجفين إذن؟»

فقفزت من مكانها، واخذت تنظر حولها بنظرات شاردة.

قالت له محذرة، متسلحة بالعرف الاجتماعي: «كفى، فالناس ينظرون الينا.»

قال بهدوء وهو يهز مرفقها: «لا احد ينظر الينا، لماذا ترتجفين؟»

لم يكن ثمة فائدة من الإنكار، فحاولت ان تجد تعليلاً منطقياً لذلك: «لأنك... افزعتني.»

نظر اليها لحظة، رافعاً حاجبه: «اتريدين القول ان الذنب ذنبي في انك ترتجفين كورقة الشجر؟»

عندما رآها تلقي نظرة ذات معنى على يده التي تمسك بمرفقها، قال بلطف: «آه، كلا، انك لن تقنعيني بذلك، فأنا انكر كيف كان مظهرك عندما جئت اليك.» واخذ يحدق في عينيها، «انك لست مريضة، وأيضاً غير خائفة حتى الموت.»

احمر وجهها وخفضت بصرها امام تحديقه العنيف، بينما تابع هو يقول: «اتريدين ان تعرفي ما افكر فيه؟ اظن ان أيان قد أخرجك عن عقلك رعباً، واظن لو لم أوقفه عند حده، ربما كان الرعب قتلك.»

صدمت بيني ونظرت إليه بهلع، وقالت بصوت مختنق: «هذا غير صحيح.»

«كلا؟ لقد كانت عيناك مغمضتين بشدة، بينما شكلك

كالشبح، كان شحوب وجهك هائلاً، واظنك كنت متجمدة من شدة الخوف.»

ضايقها هذا الوصف لقربه من الحقيقة، فحولت عينيها عن عينيه، وأخيراً قالت متهكمة بصوت مرتجف: «إذا كان هذا ما رأيتني عليه حقاً، فأنا لا أرى منك أية شفقة عليّ.»

«شفقة؟ لأنك سمحت لفتى بأن يخيفك؟ انني طبعاً لا اشعر بالشفقة، كان عليك ان توقفيه عند حده حالما ادركت في أي حال هو.»

كان هذا ما كانت تشعر به بيني... دون ان تقدر على القيام بشيء، ما جعلها تحترق كمداً، فهبت في وجهه قائلة: «وكيف كان بإمكاني ذلك وهو احد ضيوف الشرف؟ ما كنت لأستطيع توبيخه أو لطمه، كان لعمل كهذا ان يفسد الحفلة.»

وبدا على زولتان التهكم فجأة: «مما أتذكره عن ميتشيل وإيان واصدقائهم المقربين، كنت اتوقع منك عملاً كهذا.»

«انهم إذن يختلفون عن شقيقتي سيليا وعن والدتي أيضاً.»

بدا عليه فروغ الصبر: «انني لم اقل ان تستعملي العنف معه، فأنت امرأة مجربة وتعرفين كيف تتحايلين على الرجل دون اللجوء إلى ذلك، لقد كنت تستعملين هذه الطريقة معي بسهولة.» قال لها ذلك كاتماً ضحكه.

قالت بيني: «كان ذلك أمراً مختلفاً.»

«كيف؟»

حملقت فيه قائلة: «انك لم تكن فتى.»

«ولكنني جاد أكثر منه...» سكت فجأة وقد ضاقت عيناه.

فازداد ضيقها، لم تكن هي المرة الأولى التي تشعر بأن ذهنه الوقاد يعمل خلف ملامحه الجامدة، اخذ يشملها

بنظراته صعوداً ونزولاً، ليس كما اعتاد من قبل، وانما بذهن شارد وكأنه كان يريد ان يرى اين يمكن ان تتناسب بيني الصغيرة نوعاً ما، مع النموذج الهندسي الذي في خياله.

ومن بين الجموع، جاء اليه شخص وضع يده على كتفه وهو يقول شيئاً، لم يكد يتحرك وعيناه لم تتحولا عنها وهو يقول: «مرحباً، سأراك فيما بعد.»

ذهب الرجل بينما اخذت بيني تشعر وكأنها عيّنة في مختبر يخضعها للتحليل النهائي.

فتمتمت تقول: «أرجو ان تكف عن التحديق بي بهذا الشكل. واترك ذراعي، أيضاً.»

لكنه تجاهل هذا، ومضى ينظر اليها وكأنه كيميائي اكتشف لتوه عنصراً جديداً.

«حتى في الليلة الماضية، قبل ان يعود والدك، لم تكوني خائفة ونحن نركض في الحديقة بعد اقتحام اولئك اللصوص، ولكنك امتلأت خوفاً عندما جاء والدك، حتى انك جمدت في مكانك.»

فقالت بفزع: «كلا.»

كيف استطاع ان يعرف ذلك؟ كيف؟ «لم افهم ذلك، فهو ليس من نوع الآباء الطغاة الذين تخاف الفتاة منهم، كما انك لست من النوع الذي يخاف من الطغاة، على كل حال، فأنت بالغة الهدوء، والكفاءة.»

قالت بحرارة: «انني طبعاً لا اخاف منه على الاطلاق.»

«هذا صحيح، لا اظن ذلك، ولكنك كنت خائفة من (شيء ما).»

«أنا...» وهزت كتفيها عاجزة عن التعبير.

قال زولتان ببطء: «كان والدك ثملاً قليلاً، وعندما طلب المزيد، اسرعت انت بإبعاده إلى غرفته.»

«كان عليه ان يستيقظ باكراً اليوم...»

فقاطعها: «كما انك لم تكوني تريدينه ان يشرب المزيد، وهذا ما كنت تخافين منه، أليس كذلك؟ هل ظننت حقاً انه سيفقد السيطرة على نفسه فيثمل؟»

اخذت بيني تفكر في انه اقترب جداً من الحقيقة، ومعرفة كل شيء عنها، ولم تشعر قط من قبل بأنها اصبحت مكشوفة المشاعر بهذا الشكل، قالت كالمخدرة: «كلا.»

فقال برقة مدهشة: «لا حاجة بك للشعور بالخزي من هذا الأمر، فهو ليس أول ممثل مرهق بالعمل تصبح لديه مشكلة الشرب، وإذا كان كذلك فالذنب في هذا ليس ذنبك.»

«انه لم يكن كذلك.»

نظر زولتان اليها بإمعان، فعضت هي شفتها ولكنه في النهاية قرر ان بيني في هذا على الأقل، كانت تقول الحقيقة.

«إذن...»

اعتزمت بيني امراً، اذا هي لم تعطه شيئاً من التفسير، فسيظل يلاحقها حتى يحصل على الجواب الحقيقي، فهو محب للألغاز بحيث لا يدعها تمر دون ان يكشفها، وكلما زاد تعقيدها، كان حبه لها دون ان يهمه ما إذا كان هناك من يتضرر ما دام هذا يرضيه شخصياً، لكنها ليست حمقاء، إذ بإمكانها ان تخبره بشيء يرضيه، وذلك بالاعتراف ببعض الأعراض، وبشيء من الحظ، لا يتعمق هو في معرفة السبب، وبذلك يمكنها الاحتفاظ بسرها.

فقالت تظهر الصراحة التامة: «اسمع، ان القلق يتملكني

إزاء من يشرب ولو قليلاً، ولا يسعني ان اتجنب ذلك، فهو خارج عن إرادتي، انني احاول السيطرة على هذا الشعور ولكن عبثاً، واظنه نوعاً من المخاوف النفسانية.»

«لماذا؟»

انتفضت قائلة: «ماذا؟»

«ان المخاوف النفسانية لها أساس، فمن أين جاء اساس خوفك هذا؟ ولماذا؟»

لم يكن غريباً منه ان ينقب عن السبب، واخذت بيني تفكر في جواب. واخيراً قالت: «لو كنت تعمل في مستشفى لندن، لتعلمت كيف تخاف من السكارى.» حتى ان هذا كان صحيحاً، كما اخذت تفكر مسرورة من نفسها.

لكن عينيه بقيتا تنظران اليها بتأمل: «هل تعلمت الخوف من السكارى اثناء عملك؟»

حولت نظراتها عنه وهي تقول: «انهم يكونون خطرين احياناً، فأنت لا تدري ما قد يخطر ببالهم.» وارتجف صوتها بالرغم منها.

وتراءى لها وجهه آلين كما رأته آخر مرة وكأنه امامها، كان مكشراً عن انيابه كالحيوان، حتى انه حينذاك، لم يكن يميزها، وارتجفت بشكل لا إرادي.

قال زولتان برقة: «انني لا اصدقك.»

أجفلت، ثم قالت: «هنالك دراسات...»

فهز رأسه نابذاً كلامها هذا: «انني لست مختلفاً معك على تصرفات المدمنين وإنما فقط بالنسبة إلى ما كان سبباً في خوفك منه.»

عند ذلك لاذت بالصمت، كانت ضوضاء حفلة الزفاف

تدور حولهما، لقد كان الناس يمتعون انفسهم، كانوا يتحدثون ويضحكون بشكل طبيعي للغاية، كان كل ذلك يبعد عما يعتمل في اعماقها ربما مليون ميلاً.

نظرت إلى العينين الزرقاوين المتأملتين، ثم شعرت وكأنها مهجورة وحدها على كوكب ثلجي، قال برقة: «قبل ان آتي اليك الآن، كان يبدو عليك وكأنك وسط كابوس، بينما أيان المسكين لم يكن ذئباً ليسبب كل ذلك الخوف.»

تملكها الذعر وهي ترى الدموع تخنقها: «انني اعلم جيداً انه ليس كذلك.»

وأخذت تبحث عن منديل تمسح به دموعها، وهي تفكر في ان لطفها البالغ هو الذي تسبب في كل هذا، ولو لا حملقة زولتان بها بهذا الشكل، لما وصلت إلى هذا الحد من الارتباك.

قال شيئاً بصوت خافت لم تستطع فهمه، وكأنه كان بلغة اجنبية، أو لعله كان كلاماً فظاً إلى درجة غير عادية، فقد كانت اللهجة عنيفة، قال فجأة: «علينا ان نخرج من هنا.» كانت هي قد وجدت منديل يدها فأخذت تمسح دموعها وأنفها، ثم قالت: «لا يمكننا ذلك، فالناس سينتقدوننا، كما ان والدتي لن تصفح عني أبداً.»

عندما رأته ينظر اليها ساخراً، عادت تقول: «آه، لا بأس، لا يهم ما قد تظنه والدتي.»

فقال: «نعم، خصوصاً في هذه اللحظة بالذات.» ثم اخذ بالسير ممسكاً بمعصمها، شاقاً طريقه بين حشود المدعوين، ولاحظت بيني كيف كان الناس يفسحون له الطريق وكأنه ما ان ينظر إلى ناحية معينة، حتى كانت العقبات تنزاح من امامه تلقائياً.

أخذها إلى باب بيتها دون خطأ، حتى وكأنه عاش في

هذه المنطقة طوال حياته وليس ساعات معدودات، ولكنه طبعاً، قد سبق وعرف الطريق إلى بيتها، ولا شك انه كان درس خريطة كل الطرق المؤدية إلى بابها حال وصوله، تملكت بيني المرارة وهي تفكر في ذلك، اقفل الباب الخارجي بالمفتاح، ثم اخذها إلى غرفة الجلوس التي كانت تسبح في أشعة الشمس.

نظرت إليه قائلة: «انك ماهر جداً.»

«ان بإمكاني ان اجد طريقي في اكثر الأماكن، وهذه مهارة يحتاجها الشخص إذا كان يمضي حياته غريباً متنقلاً.» وابتسم: «والآن اجلسي وارتاحي، فأنا لن أؤذيك.»

رفعت وجهها قائلة: «ما فكرت قط في انك قد تؤذيني.»

تأملها وقال: «كلا، انك لم تفعلي هذا، انك امرأة غير عادية.»

«لماذا؟ هل لأنني لم اعتبرك ذئباً سيئاً؟» كانت تتحدث مزهوة بلهجتها التي استطاعت ان تنجح في كبح دموعها التي كانت تهدد بالانهمار، وتابعت تقول: «هذا واضح، اذ لا يمكن ان تعطيني دروساً في الأخلاق، لتؤذيني بعد ذلك ونحن معاً على انفراد.»

ابتسمت متفكهة، فقد كانت تشعر الآن بالسرور بعد ان تخلصا من تلك الجموع وعلى الأخص وصيف صهرها العريس.

هذا بينما رفع زولتان حاجبيه قائلاً: «هل ذلك ما كنت اقوم به؟ والذي هو إلقاء محاضرات عن السلوك الصحيح؟»

قالت له بحزم: «هذا ما كنت أحس به.»

فقال بلهجة جافة: «لا بد أنني افقد تأثيري.» جلست على أريكة من طراز القرن الثامن عشر، ثم رفعت إليه بصرها ساخرة: «هل كنت تفضل لو انني كنت أراك ذئباً سيئاً؟»

ضاقت عيناه الزرقاوان وقد بدا فيهما الإنزعاج الحقيقي، كما رأت بيني، وشعرت بشيء من السرور، فقد عاد إليها قسم كبير من الثقة بنفسها، قال بشيء من الحدة: «كنت افضل لو انك كنت ترين ما يدور أمامك.»

«اتظنني فاقدة لشيء ما؟»

«اذا كنت تظنينني مهتماً بسلوكك الحسن، فلا شك انك فاقدة لشيء ما.»

حملقت بيني فيه، قائلة: «لماذا اخرجتني إذن من الحفلة بتلك السرعة؟»

حدق فيها لحظة طويلة، ثم قال ببطء: «لأنني ظننت انك كنت بحاجة إلى من ينقذك... ليس فقط من إيان.»

ران الصمت على بيني وتلاشت ثقتها بنفسها، ثم اخذت تتفحص وجهه بشكل لا إرادي، فرأت انه كان يقول الحقيقة، وتلاشت السخرية في نفسها، وعاد اليها الشعور بالضعف والذي لم يكن شعوراً مستحباً بالنسبة اليها.

ذكرت نفسها بأنها ليست ضعيفة، فقد تعلمت رعاية نفسها، وهي تتولى رعاية نفسها الآن بنجاح كامل وذلك منذ اكثر من خمس سنوات.

حولت بصرها بعيداً، لحظة ثم سألته بصوت حانق: «وما الذي يدعوك إلى الاهتمام؟ حتى ولو كان كلامك صحيحاً وكنت انا بحاجة إلى إنقاذ... فما شأنك انت؟ فأنا لم اعرفك إلا الليلة الماضية، ومن المحتمل جداً ان لا نتقابل مرة أخرى بعد انتهاء العرس، فما الذي يدعوك إلى التدخل؟ لماذا لا تتركني وحدي؟» وتملكها الذعر وهي ترى صوتها يتهدج عند لفظها آخر كلمة.

«هل ذلك ما يفعله الآخرون جميعاً؟»

«ماذا؟»

كان زولتان ينظر اليها بجد بالغ: «أعني انهم يتركونك وحدك، انك سيدة تعيش في وحدة تامة، أليس كذلك؟»

حدّقت فيه قائلة: «ماالذي تعنيه؟»

«تلك التي لا تحب الحفلات، تلك التي يتركونها وراءهم لتستقبل ضيفاً لا تعرفه.»

قالت غاضبة: «قلت لك ان لا تعود إلى ذكر قصة ساندريلا، تلك...»

«تلك التي لم يعد يلحظها احد.»

جمدت في مكانها وهي تحدق فيه ساخطة، فقال مخترقاً الصمت: «تلك المرأة التي تهتم جداً بأن لا يلحظها أحد، انني اتساءل لماذا؟»

فقالت بجهد: «انك تتخيل هذه الأشياء.»

«لا اظن ذلك.»

نظرت في عينيه فرأت فيهما التصميم، فضمت ذراعيها حولها شاعرة بالبرد.

ثم قال: «دعينا نتفحص الحقائق.»

كان يبدو عليه اهتمام رقيق وكانها موضوع علمي للبحث، كما رأت بيني ذلك ساخطة، ولكنها لم تخدع نفسها، إذ مهما يكن من اهتمامه الرقيق، فهو لن يدع ذلك الآن إلا بعد ان يصل إلى حل اللغز ورأت نفسها تنظر إلى أسوار لمضت سنوات تحيط نفسها بها وقاية لها، قد ابتدأت تتخلخل الآن وذلك في أقل من أربع وعشرين ساعة، وكل ذلك لأن السأم تملكه من العرس فأخذ يبحث عما يسليه، ليس هذا ما كانت سوزان فلين تعنيه وهي تتحدث

عن تأثير العرس، ولكن سيكون له نفس التأثير السيء على هدوئها النفسي، ألقى نظرة شاملة على انحاء غرفتها، ثم سألها: «هل انتقلت إلى هنا بعد زواجك؟»

«لم نستطع في الواقع، البقاء معاً في غرفتي في منزل أهلي، فهي لم تكن كبيرة الحجم بما يكفي.»

ألقى عليها نظرة سريعة عرفت منها انه لاحظ تهربها، فعاد يقول: «ولكن هل سكنتما أنت وزوجك هناك؟ في بيت اهلك؟»

كان ذلك هو بداية المشكلة، كما كانت بيني تفكر دوماً، لقد كان آلين قال انه يريد البقاء هناك لأنه لم يكن عليهما ان يدفعا اجراً لوالديها، كما ان المنطقة كانت مثالية للرسم، ولكن النتيجة لم تكن حسنة، لم تكن حسنة على الاطلاق.

قالت بشكل غير مترابط: «بعض الوقت.»

لم يهتم بما قالت، وعاد يدير نظراته في أنحاء الغرفة: «انه لم يترك شيئاً من آثاره هنا، أليس كذلك ما الذي فعلته؟ هل أزلت كل ما يذكرك به؟ ومتى فعلت ذلك؟ عندما توفي؟ أم قبل ذلك؟»

«كيف...؟» وسكتت، لقد فات الأوان، فقد كانت تريد ان تسأله كيف عرف ذلك، وانبأتها أساريره انه عرف ذلك بالرغم من سكوتها قبل ان تكمل جملتها.

لوى شفتيه، وأدركت ان هذا هو الجواب الذي كان سيعطيها إياه، اخذ كل منهما يحدّق في الآخر، وامتلأ السكون بشعورها العدائي واخيراً قالت باختصار: «عندما رحل.»

«هل كان الأمر ماساوياً؟»

تذكرت كل شيء بوضوح تام، وكان الجواب مكتوباً على وجهها، سألها بصوت خالٍ من المشاعر: «ماذا حدث؟»

وقفت، ثم سارت نحو النافذة بقلق وهي تشعر بعينيه

عليها، كانت أشعة شمس الأصيل تملأ الفناء بالضياء محيلة المنزل القديم إلى عسل، والنباتات المتسلقة حول الباب إلى ما يشبه الزخارف، كان كل هذا يوحي بالسلام والهدوء، ولكن عيني بيني كانتا لا تريان.

كل ما كانت تراه في ذاكرتها هو ذلك المطبخ السيء الإنارة في هذه الشقة القائمة في جنوب لندن، كان الانتقال اليها هو آخر محاولة لهما لإنقاذ زواجهما، لقد كانت متلهفة إلى الابتعاد عن جو الخوف من الأماكن المغلقة في المنزل حيث والدتها تراقب كل مرة يخرج فيها آلين من البيت، ثم تخبرها بالدقة كم بقي بعيداً عن مرسمه. كان آلين يعلم ان الانتقال من المنزل كان ضرورياً، وذلك قدر ما كانت هي تعلم ذلك، ولكنه كان مايزال يكره ذلك.

أغمضت بيني عينيها وأخذت تتذكر، مازالت ترى تلك السجادة الرثة والملابس المبقعة وقماش الرسم الملطخ الذي كان آلين قد تركه بعد تلك الليلة، الليلة الأخيرة الهائلة تلك، الليلة التي كانت أخذت على نفسها عهداً بأن لا تخبر أحداً بأمرها أبداً.

قالت بصوت شابه صوت زولتان بجموده: «كان آلين يعاني صعوبات بالنسبة لرسومه، لقد كنا... نعاني من بعض الصعوبات أحياناً.» سمعته يتحرك خلفها، فتوتر جسمها، ولكنه لم يتكلم، وسرت لهذا، فشبكت يديها امامها وفتحت عينيها.

«كان يتعاطى الشراب، وبشكل بالغ، حسناً اظنك سبق وتكهنت بذلك، كان يشرب ويشرب، وقد تملكني القلق، ولكنني لن اكن أدرك...»

سكتت، واصبح صوتها أقل ثباتاً: «ان الزوجة غير

مستعدة لأن تحدث نفسها بأن زوجها مدمن كحول، ان المدمنين هم رجال آخرون تقرأ عنهم في الصحف، وليس شخصاً تعيش معه بشكل يومي.»

قال: «من العادة ان تكون هناك دلائل على ذلك.»

«آه، نعم لقد كانت تلك الدلائل موجودة، كانت اطباعه تتغير بشكل مفاجيء، كما كانت تنتابه نوبات هياج هائلة، الاكتئاب، عزلة تامة في بعض الأحيان، وكان احياناً يخرج من البيت فلا يعود قبل ثلاث أو أربع ايام، كنت اظن...»

وعضت شفتها: «كنت اظن ان الذنب في ذلك ذنبي أنا.»

«اتعنين تلك المصاعب التي كنت تتحدثين عنها؟»

«نعم.»

«ما هو الخلاف الذي كان بينكما؟»

«كان يقول ان لدي كل شيء، منحة دراسية لكلية الفنون، ومالاً يكفيني لأعيش، واصدقاء؟» سكتت فترة ثم اضافت بصوت خافت: «هذا بينما لم يكن هو يملك شيئاً، لقد كان هرب من بيت أهله عندما كان تلميذ مدرسة، ومنذ ذلك الحين وهو يعيش وحده.»

«وهل هذا ما جعلك تشعرين بالذنب نحوه؟»

«كلا.»

صدرت عنها هذه الكلمة بشكل احتجاج فوري... كان أشبه بصرخة ألم، فقال بلطف: «بل اظن هذا ما كان.»

كان هذا رهيباً، وهزت رأسها بذعر: «انك لا تعرف شيئاً عن ذلك.»

قال بصوت خشن: «انني واثق من انني اعلم عن ذلك ببصيرتي اكثر من أي شخص آخر.»

فرفعت رأسها: «ولماذا؟»

«لأنني، كما كنت قلت لي في وقت سابق من هذا النهار، لأنني كنت أنقب وأنقب وأنقب.»

«اعني، لماذا تقول ذلك؟»

بدا فارغ الصبر: «ان لدي عينين واذنين، لأن كل شخص في اسرتك يظن انك فتاة من النوع الطيب الحذر الهادىء والذي لا يحب الحشود والحفلات.» وانخفض صوته، «مع انني بنظرة واحدة رأيت فتاة متوقدة العواطف، متهورة قد غامرت بكل ما كانت تملكه وتحبه.»

ابتلعت بيني ريقها: «كلا، فقد تغيرت، فأنا لم أعد بذلك الشكل، لم يكونوا يريدونني ان اتزوج آلين لأنهم كانوا يريدونني ان انهي دراستي، قائلين بأنه لن يسمح لي بذلك، لم أصدقهم، ولكنهم كانوا على صواب.»

«ما الذي حدث؟»

أغمضت عينيها وهي تهز رأسها لما كانت عليه من الضعف في شبابها: «لقد حصلت على جوائز كثيرة جداً، وكان الوقت سيئاً، ذلك ان آلين كانت لديه مشاكل بالنسبة إلى قماش الكانفا للرسم ذي القياس الكبير، عند ذلك كلفه البعض برسم بعض اللوحات، وعندما تأخر في انجازها عادوا فسحبوها منه، عند ذلك ذهبت وبعت ما لدي من لوحات وذلك في نهاية المعرض الفصلي، وكان ذلك اكثر مما يستطيع احتماله، فبدأ... بالادمان.»

«هل كان في ذلك بداية إدمانه؟»

«كلا، لم يكن في ذلك البداية، وإنما... معرفتي بذلك فقط، لقد قال الأطباء انه لم يكن عليّ ان... أنافسه.»

«ثم؟»

«تركت مدرسة الفنون.»

«ثم؟»

«هذا كل شيء.»

اخترقت عيناه عينيها، فخفضت من بصرها، ثم قال: «كلا، ليس هذا كل شيء، هل لنا ان نتوقف عن الإدعاء؟ من الواضح ان زوجك قد آذاك.» ورق صوته وهو يقول ذلك، «لقد كنت في التاسعة عشرة حين تزوجته وفي النهاية خرجت من هذا الزواج... ماذا؟ منذ خمس سنوات؟ ست؟ ومنذ ذلك الحين وانت تتوارين خلفاً وذلك لكيلا يراك احد فيؤذيك مرة أخرى.»

كانت بيني بالغة الشحوب، فنظرت اليه بذهن غائب.

قال برفق: «كنت انظر اليك هذا الصباح عندما كان والدك يقرأ في الصحيفة.»

توترت بينما تابع زولتان قائلاً: «قد لا يصدق ان ثمة نساء يمكثن مع رجال يؤذونهن جسدياً، ولكنني انا اصدق ذلك، هذا إذا كن يظنن ان الذنب في ذلك ذنبهن، واذا كن يظنن انهن بذلك، قد يساعدنه بشكل ما.» وسكت لحظة، ثم عاد يقول: «هذا ما حدث معك، أليس كذلك؟»

ساد صمت هائل، وهي ترى انه يعرف كل شيء، ولم تستطع التفكير.

أخيراً، قال بصوت خافت: «اخبريني.»

فقالت بعد فترة صمت: «لم يسألني احد ذلك... لا احد.»

«كان عليهم ان يفعلوا إذن، وأنا أسألك الآن، ما الذي حدث؟»

أغمضت عينيها: «لماذا تريد ان تعلم؟»

أجاب دون تردد: «لأنني لن استطيع معرفتك تماماً إلا اذا علمت كل شيء.»

هزت رأسها بينما تابع هو يقول: «وانا بحاجة إلى ان اعرفك تماماً، هيا، يا عزيزتي، اخبريني، وبعد ذلك يمكنك ان لا تفكري في الأمر مرة أخرى، وتضعيه خلفك إلى الأبد.»

قالت باكتئاب: «انها مجرد وعود، اذا كنت لم اتخلص من هذه الذكرى بعد حوالي الست سنوات، فهل سأتخلص منها الآن.»

لم يناقشها في ذلك، وكل ما فعله هو ان عاد يقول: «اخبريني.»

«كان شيئاً عادياً نوعاً ما، فقد كانت لدى آلين مشكلة الإدمان.»

بدا التجهم على زولتان، ولكنه لم يقل شيئاً، وهذا ما جعل الأمور سهلة بشكل ما.

وفجأة وجدت بيني نفسها تقول اشياء بقيت سنوات لا تجروء على تذكرها.

«كان يغار مني على الدوام، من نشأتي، من ضمان حياتي مادياً، حتى من مركزي في مدرسة الفنون، منذ أول مرة رأيته فيها ثملاً، تملكني الخوف، ولم يخبرني الأطباء شيئاً ما عدا انهم كانوا يظنونني مسؤولة نوعاً ما، وبشكل جزئي، لقد عاملوني وكأنني عدوته.» كانت عيناها تنطقان بكل هذه الذكريات المؤلمة، وهي تتابع قائلة: «لم اكن رأيت شخصاً بذلك الشكل من قبل، وتملكني رعب بالغ، وعندما استعاد اتزانه، قال ان الذنب في ذلك كان ذنبي أنا، فقد جعلته يشعر بأنه انسان فاشل.»

«ألم تذهبي إلى والديك؟»

«لم... أستطع، فقد كانا ضد هذا الزواج، وكان آلين يظن انهم يحتقرونه.»

سألها برفق: «هل كان ذلك عندما ضربك لأول مرة؟»

احمر وجهها، وخفضت بصرها وهي تجيب: «نعم.»

فاخذ يتمتم بغضب، ثم سألها: «ألم يلحظ ذلك احد؟»

«حرصت على ان لا يعلم بذلك احد، فقد رأيت ذلك عدم اخلاص له.»

قال بغضب: «وكيف تمكنت من الخروج من بيتك إذن؟»

ابتسمت بمرارة: «كان ذلك سهلاً، ذلك انني كنت حصلت على تكليف برسم بعض اللوحات وإذا بآلين يأخذ سكيناً إلى اللوحات فيمزقها ثم يأتي إليّ.»

نظر اليها مذهولاً: «تباً له.»

فقالت بألم: «لقد كنت اتوقع منه ذلك تقريباً، حتى انني كنت وضعت خطة للهرب اذا حدث شيء كهذا، فأسرعت اهبط السلم إلى بيت الجيران، ثم جاءت الشرطة واخذته، وكان قد حطم كل محتويات الشقة.»

«وبعد ذلك؟»

«لقد ادخل بعد ذلك إلى المستشفى حيث قال الاختصاصي انه لن يتحسن ابداً ما دام يعيش معي، ويبدو انني كنت السبب في ذلك، فقد رآني منافسة له، وفي كل مرة كنت احرز فيها بعض النجاح كان ذلك يزيد في شكه بنفسه، وهكذا... تركته.»

نظر زولتان اليها بإمعان: «ماذا كان شعورك عندما مات؟»

ابتلعت ريقها، ولكنها كانت اخبرته بكل شيء ما جعلها تشعر بالخزي، فلماذا تمتنع الآن عن ذكر هذا الأمر الوحيد؟ وهكذا قالت بصدق: «شعرت بأنني اصبحت حرة.» ثم انخرطت بالبكاء.

الفصل التاسع

تركها زولتان تبكي، بعد ان قدم اليها منديلاً نظيفاً لتمسح به دموعها، وعندما ابتدأت دموعها تجف، نهض وذهب إلى غرفتها ثم عاد وفي يده كوب ماء ناولها إياه.

قالت له بصوت خافت: «اشكرك.»

«هذا أقل ما يمكنني عمله.»

شربت جرعة من الماء ثم قالت: «ليس من عادتي ان ابكي بهذه الكثرة.»

«اعلم ذلك، وما كنت لتبكين الآن لو انني لم ادفعك إلى ذلك، هل أنت أحسن الآن؟»

فأومأت ايجاباً دون ان تنظر في عينيه، تنهد ثم نهض واقفاً وهو يقول: «أتمنى لو...» ثم سكت، وكانت هي تمسح عينيها وانفها، ثم نظرت اليه خلسة وهي تقول: «لابد ان منظري سيء للغاية.»

فقال برزانة وشيء من الشرود: «كلا.»

فقالت: «حسناً، الأفضل ان أغسل وجهي.»

قال دون اهتمام: «نعم، إفعلي ذلك.»

ذهبت إلى الحمام وغسلت وجهها بماء بارد، ثم اخذت تتفحص وجهها في المرآة، ان اجفانها ستبقى منتفخة عدة ساعات، ولكن الماء البارد أزال عنها الإحمرار على الأقل.

وضعت بعض الزينة على وجهها، ثم سوت من شعرها وبعد ذلك عادت تتفحص صورتها في المرآة، لم تكن

النتيجة كما اعتادها زولتان، ولكنها كانت افضل مما تمكنت من عمله، ثم ان زولتان غارد سيرحل في طريقه بعد ساعات، وتقبضت اصابعها على منديله وقد تملكها شعور بالخسارة.

حدثت نفسها بأن هذا جنون، فهي لا تحبه إلى ذلك الحد، ولكن شعوراً بالغاً بالوحدة تملكها وهي تفكر في انه سيخرج من حياتها، رغم انها لم تعرفه الا منذ أقل من اربع وعشرين ساعة.

لم يكن هذا جنوناً فقط، وإنما محرجاً للغاية، ويجب ان لا تبدي أي دلالة من أسف أو حزن لفراقه، وان لم يكن من المحتمل ان يحرجه هذا.

عادت إلى غرفة استقبالها الصغيرة، وكان هو واقفاً عند النافذة ينظر إلى الفناء، وعلى وجهه تعبير لم تره من قبل، جعله يبدو متجهماً تقريباً.

دخلت بيني رافعة رأسها وهي تقول: «آسفة لما حدث، انني أحسن الآن.»

فاستدار يواجهها وقد اتسعت عيناه قليلاً وهو يقول دون ان يفارق ملامحه ذلك التجهم: «هذا ماأراه، هل تنوين العودة إلى الحفلة؟»

قالت تجيبه: «لا يمكنني تجنب ذلك، انه عرس شقيقتي وعليّ ان أودع الضيوف.»

فقال بصوت يتراوح بين السخرية والغضب: «مازال لديك الاعتبار الأول للآخرين، يمكنك ان تتخلصي من ذلك بكل سهولة، يمكنك ان تذهبي وتحضري سيارتك ثم نذهب بها معاً.»

تملكها الرجاء لحظة، ولكن التعقل عاد إليها، ان امامها رجلاً لا ينشد سوى متعة مؤقتة، وإنشاء علاقة معه لن ينتج من ورائها سوى تحطم جديد لقلبها، وهذه المرة الثانية ستكون نهائية.

قالت برقة: «لا اظنها فكرة حسنة.»

نظر إليها بكآبة: «كلا، لا اظنها كذلك.»

حاولت ان تبتسم: «ولكنني شاكرة لك.»

فسألها مقطباً جبينه وقد بدت السخرية المرة في صوته: «اتشكرينني لجعلك تبكين؟»

شعرت بغصة في حلقها، ولكنها استطاعت بشكل ما الاحتفاظ بابتسامتها وهي تقول: «انك كنت على صواب، فقد كان لهذا ان يحدث منذ زمن طويل، وقد كتمته أنا مدة طويلة، انني مسرورة جداً لكشفي عن كل شيء بصراحة تامة.»

«إذن، فأنا مسرور لتأدية خدمة لك.»

لكنها لم تره مسروراً حقاً، وانما متوحشاً، فقالت: «عليَ حقاً ان اذهب، هل ستأتي انت أيضاً؟»

فهز كتفيه: «ولم لا؟»

سارا مجتازين الفناء وقد ساد بينهما صمت غير مريح، على الأقل بالنسبة إلى بيني، أما زولتان فقد كان تائهاً في تأملاته وقد بدا عليه عدم الاهتمام بها أو أي شيء يتعلق بوضعهما هذا.

كانت الحفلة قد ابتدأت تقترب من نهايتها عندما وضعت بيني قدمها في القاعة، وجاءت ليزلي إليها: «ها انت ذي يا بيني، يجب ان تأتي وتودعي العمة كاثرين.» وابتسمت

لزولتان باختصار: «عفواً يا استاذ، يمكنك ان تستعيد بيني بعد ان تؤدي واجباتها.»

قطب جبينه وهو يقول دون ان يبتسم: «ولكن يبدو ان واجباتها دون نهاية.» ثم استدار على عقبيه متجهاً إلى غرفة أخرى، أخذت ليزلي تحدق في أثره فاتحة فمها ذهولاً، ثم قالت: «هل يريد ان يأخذك مبتعداً بك عن كل هؤلاء؟ يا لك من فتاة محظوظة.»

قالت بيني: «انك مخطئة تماماً.»

قالت ليزلي بشبه ابتسامة: «احقاً؟»

تذكرت بيني كيف ظنت حين قابلت زولتان لأول مرة بأن ثمة توسطاً تآمرياً لتزويجهما، لو كانت حينذاك قد رأت ليزلي تنظر اليها بهذا الشكل، لكان هذا اثبت ظنها ذاك والذي هو خطأ كلي كما تعرف الآن،ذلك ان ليس ثمة من يستطيع التوسط في تزويج زولتان، حتى هو نفسه.

هزت رأسها تجيب بحزم: «بكل تأكيد فهذا الرجل صادق تماماً، وهو يريد ان تكون علاقاته مؤقتة.»

«يبدو انك تعرفين الكثير عن رجل لم تعرفيه إلا أمس.»

ردت بيني بحدة: «اذا اخذنا بالاعتبار اننا أمضينا المساء نقاوم اللصوص معاً...» وسكتت فجأة.

فقالت ليزلي بهدوء: «أعلم ذلك.»

أجفلت بيني بينما تابعت ليزلي تقول: «لقد ذكر لنا زولتان ذلك، وقد رأى ان من الخطأ اخفاء هذا عن والدتنا، وهذا رأيي انا أيضاً، فقد كان سيفيدك اللجوء إلى الراحة هذا النهار، هذا إلى انك مازلت تعانين من الصدمة على الأغلب.»

قالت بجفاء: «نعم، ربما كنت بحاجة إلى شيء من الراحة، ولكنني لا أريدها كما انني لن أضيع وقتي في ملاحقة الأحلام، خذيني إلى العمة كاثرين.»

قالت ليزلي ضاحكة: «يوماً ما ستأتي الاحلام للبحث عنك، ان العمة كاثرين هناك.» وأشارت إلى ناحية المكتب. «اما انا فعليّ ان اذهب للبحث عن رجل يأخذنا من هنا.»

عندما ابتعدت ذهبت بيني للبحث عن عمتها، فوجدتها جالسة على كرسي كبير بذراعين، وعندما رأت بيني حيتها قائلة: «ها انت ذي ألا تنفصلين عن فتاك لحظة؟»

احمر وجه بيني قليلاً: «ليس لديّ فتى، يا عمتي.» وانحنت تقبلها في وجنتها.

نظرت العمة اليها بدهاء: «لماذا إذن تضعين الكحل على عينيك لأول مرة منذ سنوات؟ انه يبدو جميلاً.»

قالت بيني ضاحكة: «شكراً، ولكنني وضعته لأجل نفسي وليس لأجل رجل اسطوري.»

أجابت العمة ساخرة: «ولكنه يبدو لي رجلاً اسطورياً تماماً، فهو وسيم انما من الصعب ترويضه.»

نظرت اليها بيني بذعر: «أروض زولتان؟ لم افكر قط في هذا الأمر.»

نظرت اليها العمة متفكهة: «يا له من شعور قوي تجاه رجل اسطوري.»

عندئذ شعرت بيني بأن عطف القرابة وضرورة احترام السن قد اصبحا فوق مقدورها، فقالت لعمتها بصراحة: «انك حقاً عجوز متطفلة تحبين التدخل في أمر ليس من شأنك.»

بدا على العمة شيء من السرور وهي تقول: «ان الحق

معك طبعاً، ولكنني أريد ان أراك سعيدة، لأنك لست كذلك.»

اخذت بيني ترتجف فمدت العمة يديها تربت على ذراعها قائلة: «اذهبي إليه، وإذا كان هو الشخص الذي تحبين، فلا تدعيه يرحل قبل ان تخبريه بذلك.» وسكتت لحظة بدا فيها وجهها الحاد المغضن، بدا اكثر شباباً ورزانة، «هذا ما لم افعله انا، فلم اتوقف عن الندم حتى الآن.»

فوجئت ابنة شقيقها وبان عليها التأثر وهي تقول: «لم أكن اعلم هذا.»

«حسناً، ها أنت ذي تعلمين الآن، فتعلمين من اخطائي يا عزيزتي.»

«ولكن ماذا لو لم يكن يحبني؟»

فقالت العمة: «حسب ما لاحظته، أراه يحبك، حتى ولو لم يكن ذلك، فماذا ستخسرين؟»

قالت بيني: «اخسر كرامتي.»

قالت العمة مقلبة شفتيها: «الكرامة لا تفيدك، انها لن تدفئك في الليالي، كما انها لن تخفف من ندمك إذا كنت ستمضين بقية حياتك محاولة ان لا تفكري في ما كان يمكن ان يكون، صدقيني.»

ثم نهضت متباطئة وهي تتكىء على عصاها، وعندما أمسكت بيني بذراعها تساعدها على الوقوف رقت أسارير العمة: «انك فتاة طيبة محبة، لقد كان زواجك سيئاً ولكن الوقت قد حان لكي تجعلي الماضي خلفك، فإذا كنت تحبين ذلك الرجل الوسيم فاخبريه بذلك، فالحظ لا يأتي مرتين.»

قالت بيني: «سأتذكر هذا.»

قالت العمة بخفة: «افعلي، والآن خذيني إلى سيارتي.»

وعندما ساعدتها بيني على دخول السيارة، ووضع السائق الدثار على ركبتيها ثم انطلق بالسيارة عادت بيني إلى المنزل سائرة ببطء، كان عليها ان تعترف بأن الكثير مما قالته العمة كاترين اخذ يتجاوب في أعماق مشاعرها.

بحثت عن زولتان في المنزل فلم تجد له أثراً، ولكنها لم تشأ ان تسأل عنه، يكفي إغاظة ليزلي لها هذا النهار، فهي لا تريد ان تجعل للأسرة كافة سبباً للتخمينات والتكهنات.

حدثت نفسها بأن هناك كرامة، وكرامة، وربما... ربما فقط، تتغلب عليها نوعاً ما لأجل زولتان، إذا وجدت الشجاعة الكافية، انما لن تعرض نفسها ابداً إلى دعابات ومزاح أسرتها.

لم تكن الحفلة قد انفضت تماماً، ورأت ليزلي التي قالت لها عابسة: «ان كل شخص ينتظر ان يذهب الآخر لكي يذهب هو.»

نظرت بيني في ساعتها كان الوقت متأخراً اكثر مما كانت تظن.

فسألت شقيقتها: «اين العروسين سيليا وميتشيل؟»

رفعت ليزلي بصرها إلى السقف: «اين كنت في الساعتين الماضيتين؟ أم ربما ما كان لي ان أسأل؟ لقد رحلا منذ زمن طويل، لقد غيرت سيليا ملابسها ثم ذهبا معاً بالسيارة إلى القرية، وكأنهما قد رحلا حقاً ولن يعودا لافتتاح الحفلة الساهرة، لا بد ان والدتي هي التي تدبرت هذا.»

ضحكت بيني: «انها تريد كل شيء حسب الأصول، بعد المصائب التي رأتها منا.»

أومأت ليزلي: «كما ان سيليا من السعادة بحيث لا تهتم لشيء.» ثم نظرت إلى بيني بإمعان: «وماذا بالنسبة اليك يا بيني؟»

ردت بيني بمرح: «انا؟ انني في غاية البهجة.»

قالت شقيقتها بجفاء: «هذا ما يبدو عليك، كلا، اعني ماذا بالنسبة للحفلة الساهرة؟ ماذا سترتدين؟»

حملقت بيني فيها: «انني لست العروس، فأنا لست بحاجة إلى الرحيل بشكل احتفالي.»

تنهدت ليزلي: «اعني هل تريدين ترك المنزل؟ ان السهرة ستدوم طوال الليل ولن يغمض لأحد منا جفن، انني اعرف ان بعض الأشخاص سيخرجون مبكراً، فهل تريدين من احد منهم ان يوصلك إلى المدينة.»

قالت بيني ببطء: «لم افكر في ذلك، ألا يغضب هذا والدتي؟»

«ربما، اذا هي عرفت بذلك، ومن سيخبرها؟»

«سيكون هذا جميلاً جداً، ولكن لدي سيارتي هنا واظن بإمكاني ان أقود سيارتي بنفسي.» وبدا الشك في لهجتها وهي تقول ذلك، فبدا الغيظ على ليزلي: «إياك ان تفكري بذلك، إذ انك ستكونين مرهقة للغاية، خصوصاً بعد ما حدث الليلة الماضية، انني سأجد من يأخذ اليك سيارتك صباح غد.»

«أحقاً؟»

ابتسمت لها ليزلي بحنان: «اتركيها معي، انك تستحقين الراحة.»

شعرت بيني بالتأثر لحنان شقيقتها، وكذلك بعرفان الجميل.

وازداد شعورها بعرفان الجميل عندما جاءت ليزلي تربت على ذراعها.

كانت بيني قد وافقت على حضور الحفلة الساهرة لأنها من الأسرة، فهي لم تتوقع قط ان تستمتع فيها، وعندما كانت ترتدي ثوبها الطويل الجديد الذي كانت اشترته حديثاً، فكرت في انها قد تستمتع بهذه الحفلة، إذا كان زولتان موجوداً...

وحدثت صورتها في المرآة، قائلة: «ان قلبي يخفق وكأنني تلميذة مدرسة... فيا للسخافة.»

لكن هذا الخفقان ما لبث ان هدأ وهي ترى افواج القادمين تتوافد، دون ان تر أثراً لزولتان ولم تستطع ان تسأل عنه شقيقتها دون ان تتسبب في دفعهما إلى التعليقات المختلفة التي لا تصبر عليها، ولكن صهرها الجديد كان مختلفاً عنهما، وهكذا أدلت بملاحظة امامه، وبغاية الحرص، وهي ان معلمه القديم تأخر كثيراً عن النزول من غرفته إلى الحفلة الساهرة هذه.

فقال ميتشيل: «آه، ولكن زولتان قد رحل.»

«رحل؟ ولكنه لم يقل انه راحل؟»

«لقد اتصل بسكرتيرته في كامبريدج، فوجد لديها بعض الأخبار له، هذه هي عادته.»

«آه.» وبعد لحظة صمت، قالت بحذر: «هل تعلم إلى أين ذهب؟»

«كلا، أتراه ترك شيئاً خلفه؟»

«كلا، حسب علمي.»

«إذن، فليس في الأمر مشكلة، أليس كذلك؟»

فقالت ببلادة: «كلا.»

تبدد تألق الحفلة، بعد ذلك، وهكذا عندما وضعت ليزلي يدها على ذراعها، شعرت بالارتياح، «احضري معطفك، فسائقك سيذهب في خلال عشر دقائق، انها سيارة كبيرة داكنة اللون وقفة تحت شجرة الزان.»

فقالت بيني: «اشكرك.»

احتضنتها ليزلي فجأة، قائلة: «حظاً سعيداً.»

فاحتضنتها بيني بدورها وقد تملكتها الدهشة والتأثر، ثم قالت وقد اغرورقت عيناها بالدمع: «يبدو ان الأعراس تجعل كل شخص عاطفياً.»

«نعم، أنا كذلك، انتبهي، فوالدتنا تنظر إلى ناحيتنا، انني سأحاول الهاءها ريثما تذهبين، ولا تنسي ان تتصلي بي هاتفياً حال وصولك لكي اطمئن على سلامتك.»

لم تدرك بيني إلا فيما بعد، غرابة ما قالته لها شقيقتها.

الفصل العاشر

لكن عندما وصلت بيني إلى غرفتها وحملت حقيبتها الصغيرة، واضعة وشاحها الصوفي حول كتفيها تحميهما في برودة ليالي الصيف، لمحت شيئاً على عتبة النافذة، وعندما التقطته وجدته المنديل الذي كان زولتان قد أعطاه لها لتمسح به دموعها، فأطبقت عليه بأصابعها بشدة.

لقد كان ميتشيل سألها: «(أتراه ترك شيئاً خلفه؟)»

حسناً، ها هوذا قد ترك فعلاً، ان لديها الآن إذا شاءت أحسن عذر للاتصال به مرة أخرى، ولكن أتراها تريد ذلك؟

نظرت إلى المنديل المكرش، نعم، انها تريد ذلك، ولكن أتراها من الشجاعة بحيث تعرض نفسها للألم مرة أخرى؟ (الحظ لا يأتي مرتين)... هذا ما قالته لها عمتها، انها لا تريد ان تمضي بقية حياتها في التساؤل عما كان سيحدث لو انها كانت تملك الشجاعة الكافية، وإذ فاجأها هذا الخاطر، دست المنديل في جيبها ثم هبطت السلم إلى الطابق الأسفل، وضعت حقيبتها اسفل السلم، ثم عادت إلى الخيمة حيث الحفلة الساهرة، حيث اخذت تبحث بنظراتها عن ميتشيل بين الجموع، وسرعان ما رأته، وكان قد خلع سترة العشاء ثم اخذ يمتع نفسه بالحفلة بحماسة بالغة.

قالت وهي تجذبه من قميصه إلى الخلف: «ميتشيل.»

«من؟ بيني؟ هل انت مغادرة؟»

«نعم، إلى اين يمكنني الاتصال بزولتان غارد؟»

سألها بابتسامة عريضة: «أما زال السحر القديم فعّالاً. لا أدري كيف يفعل ذلك الرجل هذا.»

قالت متجاهلة قوله: «أريد عنوانه في كامبريدج، أو الأفضل رقم هاتفه.»

هز ميتشيل رأسه قائلاً بلهجة حزينة: «وكنت اظنك فتاة عاقلة.»

«اننا جميعاً نفقد عقولنا احياناً، هيا يا ميتشيل، هات.»

فقال: «كلية هانتنغدون ولا أتذكر الرقم، انه في الدليل، انهم سيعرفون اين هو، ان له غرفاً هناك.»

فقالت له: «شكراً.»

قال محذراً: «حذار منه.»

«لقد فات أوان ذلك، سأعلمك بما سيحدث.» وبدا على وجهها إشراق غير عادي، فهز كتفيه قائلاً: «ستقتلني سيليا.»

ضحكت بيني واندفعت خارجة إلى ظلام الليل، علقت حقيبتها في كتفها، ثم ذهبت للبحث عن السيارة التي تحت شجرة الزان.

اخذت تتساءل عمن عسى ان تكون ليزلي كلفته بتوصيلها إلى بيتها، فهناك كثيرون من كبار السن يرغبون في النوم قبل الفجر، ولكنها تمنت أن لا يكون هناك من يرتبط معها بحديث طوال الطريق إلى لندن فإن لديها الكثير مما ترغب في التفكير فيه، وكما كانت ليزلي اخبرتها، كانت هناك سيارة كبيرة داكنة اللون، ولم تكن بيني تعرف الكثير عن السيارات، لكن هذه بدت لها فخمة للغاية، وفكرت في مهارة شقيقتها وهي تخفي ابتسامتها.

كانت السيارة خالية، وإذ اخذت تنظر حولها، من المنزل إلى الخيمة، متسائلة عن الإتجاه الذي كان مرافقها سيأتي منه، إذا بيد تمتد اليها في الظلام وتأخذ الحقيبة من كتفها، بينما صوت تعرفه، يقول: «انك لن تحتاجي إلى هذه.»

جمدت بيني في مكانها، لا تجرؤ على الالتفات إلى ناحية الصوت خوفاً من ان يكون ذلك وهماً من مخيلتها.

ثم قالت بصوت أجش: «ولكنك رحلت.»

«لقد عدت.»

«لكن... اتراك خلفت شيئاً وراءك؟»

أجاب زولتان غارد بضحكة رقيقة: «نعم.»

كانت بيني قد اخذت ترتجف، فاستدارت إليه، كان يبدو ظلاً طويلاً، ولم تستطع ان ترى عينيه، ولكنها أحست بعزيمة قوية. «ما هو، فاحضره اليك، اخبرني اين ابحث عنه...» كانت تثرثر وكانت تعرف ذلك.

قال بهدوء: «أدخلي إلى السيارة.»

«ولكنني سأحضره اليك.»

قال وفي صوته تلك النبرة العميقة المألوفة المتهكمة: «انك فعلت.»

ظنت لحظة انه رأى منديله في جيبها، ولكن التعقل عاد اليها، فاحمر وجهها في الظلام، ثم قالت غير صادقة: «لا افهم ما تقول.»

«بل تفهمين وتفهمين جيداً.»

تفجرت في اعماقها سعادة جنونية تشوبها لمسة من الكآبة والشعور بالهجران.

وتمتمت تقول: «انه شيء مؤقت تماماً.»

«ما هو؟»

أخذ يتفرس فيها في الظلام، ومن الخيمة حيث الحفلة الساهرة، تعالى ضحك عال، تبعته موسيقى، ما شعرت معه بعزلتهما هذه تحت شجرة الزان.

قال زولتان: «الأفضل ان نذهب، فهي لا تبدو وكأنها حفلة ستبقى داخل الخيمة مدة طويلة.»

«نعم، فلنذهب.»

ألقى بحقيبتها إلى المقعد الخلفي، ثم ساعدها في الصعود إلى مقعدها، واستدار صاعداً إلى حيث جلس في مقعد القيادة حيث أدار المحرك.

قال: «ان لدينا كثيراً مما علينا ان نتحدث فيه، ولكن ليس حين نكون في خطر ان يهجم علينا الكثير من تلامذتي القدماء.»

وسرعان ما انسابت بهما السيارة الفارهة، ألقى عليها نظرة جانبية، ثم قال: «عرفت ان أيان كان يطعن في سمعتي.»

«لقد ملأ انني بالحديث عن تاريخك الماضي مع النساء.»

فقال بجد: «هذا ما كنت اخاف منه، وهل اخبرك انني اكثر الرجال عشقاً بعد كازانوفا؟»

«شيئاً كهذا.»

فقال بسرعة: «انه غير صحيح.»

«انه يبدو معقولاً إلى درجة هائلة.»

ألقى عليها نظرة أخرى، ثم قال بلهجة من اكتشف شيئاً: «انك تضحكين مني.»

فهزت رأسها قائلة: «ربما اضحك منا، نحن الاثنين.»

«لماذا؟»

«حسناً، لقد ابتعدت عن كل العلاقات وذلك منذ انتهاء زواجي، فمن سوء السلوك تماماً ان اخرج عند منتصف الليل في سيارة مع اكثر الرجال عشقاً بعد كازانوفا، هذا دون ان اعرف إلى أين، أم لعلك عائد بي إلى شقتي؟»

فقال بحرارة: «سآخذك إلى أي مكان تريدينه.»

«أتعني ان... القرار لي؟»

«طبعاً.»

فقالت: «آه...»

فقال متأملاً: «ألا تريدين ان يكون القرار لك؟»

«كانت لكازانوفا اخطاء كثيرة، هكذا قيل لي، ولكن اهم شيء فيه هو انه ملأ فتاة بالحماسة.»

ألقى عليها نظرة سريعة: «آه، انك تريدين من يملأك بالحماسة، حسناً يمكنني تدبير هذا الأمر.»

قالت بشيء من الحدة: «اظن انك سبق وتدبرت هذا.»

«يا حبيبتي... انني لم أبدأ بعد.»

فقالت: «ألا تظن اننا نسير بسرعة زائدة قليلاً؟»

ضحك وقال: «اسرع مما اعتدته من قبل.»

«وهل هذا من الحكمة في شيء؟»

قال دون اهتمام: «قد لا يكون هذا.»

ضحكت فجأة وهي تفكر في ان عمتها كاثرين لا بد سيعجبها ذلك.

فسألها: «ما الذي تضحكين منه؟»

«انه شيء قالته لي إحدى عماتي هذا المساء.» ونظرت اليه: «قالت لي أن لا أدعك ترحل بعيداً إذا كنت أريدك.»

«انني أوّيد ذلك.»

«نعم، ولكن هل انا أريدك؟»

أدار السيارة جاداً للغاية وهو يقول: «ان جعلك تريدينني هو أمر يعود إليّ.»

وفي الساعة التي تلت، لم يتكلم كثيراً، كان يبدو عليه التركيز على الاتجاهات، ولم تستطع هي مساعدته في ذلك حيث ان الطرق لم تكن مألوفة لديها، ولكنها أدركت بحيرة انه لم يكن متوجهاً بها إلى لندن.

سألته: «من أين اتيت بهذه السيارة؟ لا اظنهم يؤجرون سيارة بهذه الفخامة لاحتمال ان يقع لها حادث يدمرها.»

هز زولتان كتفيه، قائلاً: «انها سيارتي، انني احتفظ بسيارة دائمة في انكلترا وذلك كثرة ترددي عليها.»

استقامت بيني في جلستها وسألته: «لماذا إذن كان عليّ ان استقبلك في المحطة؟»

أجاب: «لقد كان استعارها مني صديق، وقد ارسلت رجلاً لاحضارها لي، فجاء بها عصر هذا اليوم.»

فكرت انها سيارات غاية في الرفاهية تلك التي يستعملها لأقل من نصف العام، وهذا ما يزيد من الرفاهية المثيرة التي يعيشها، لقد كانت علمت من قبل بأنه ليس ذلك الاستاذ الجامعي الجائع، كما كانت والدتها قالت مرة، ولكن إلى هذا الحد؟

سألته: «هل انت بالغ الثراء؟»

فضحك قائلاً: «ان بإمكاني ان ادفع تكاليف حياتي واشتري ما أريد، كهذه السيارة، مثلاً، ان بإمكاني ان اجعل دخلي بالقدر الذي أريده، وانا اختار نوع اعمالي، وعدا عن ذلك، فأنا رجل حر.»

قالت بمكر وهي تنظر إليه: «لا أفهم.»

فسألها: «هل مقدار ما املك من مال هو أمر مهم؟»

قالت بصوت خافت: «لا اظنني أريد ان اكون صديقة رجل مليونير، انني آسفة، ولكن...»

«ماذا؟»

«قد يبدو هذا في نظرك سخيفاً للغاية، ولكن...»

فقال وقد تجهم وجهه: «اننا لا نتحدث عن الصديقات، بل نحن لن نتحدث في هذه الشؤون في السيارة، فوجودك بجانبي وحده يرفع ضغط دمي.»

قالت بسرور: «آه، لم يقل لي احد قط من قبل ان وجودي بقربه يرفع عنده ضغط الدم.»

«ربما لم تكوني تفهمينهم.»

مضت لحظة صمت، سألته بعدها: «إلى اين نحن ذاهبان؟»

«ان منزلي في كامبريدج، وهذا كل ما بإمكاني القيام به حالياً في هذا الوقت المتأخر، وغداً صباحاً يمكنك ان تختاري أي مكان على شواطىء البحر الكاريبي.»

نظرت بيني اليه ذاهلة: «لا تكن سخيفاً، ان لديّ وظيفة.»

«أعلم ذلك، فقد فكرت في ذلك من قبل، ولكن حتى مديرات المستشفيات لهن الحق في ان يأخذن عطلة لقضاء شهور العسل.»

جمدت بيني في مكانها، «شهور العسل؟»

فقال هازلاً: «حسناً، كنت افكر في واحد فقط معي أنا.»

«هل قلت شهر العسل؟ قاصداً بذلك الزواج؟»

«بالضبط.»

«ولكنك... لا تؤمن بالعلاقات الدائمة؟»

«منذ اربع وعشرين ساعة، لم اكن أؤمن بالحب من أول نظرة، ولكننا جميعاً نتعلم من اخطائنا كما يقال.»

تنفست بيني بحدة، فسألها: «أليس كذلك؟»

«لا أدري، يبدو انني اقترفت اخطاء كثيرة.»

«لا اعرف منها سوى خطأ واحد.» وسكت، كانا الآن يسيران في شارع تحفه الأشجار على الجانبين وكذلك الفيلات الفخمة.

اخترق صوت بيني الصمت وهي تسأله: «خطأ واحد فقط؟»

«نعم، وهو حين تزوجت آلين داين.»

كانت السيارة الآن قد توقفت امام فيلا ذات سلالم ملتوية وجدران تغطيها الرسوم ورفوف الكتب، فهي لا تختلف عن شقتها كما رأت بيني وقد تملكها الذهول، هذا طبعاً، إلى فارق الفخامة والترف الذي ينطق بالثراء.

وقفت شاعرة بالإرتباك فقال: «تعالي إلى غرفة مكتبي، فهي دافئة.»

وعندما دخلت وقفت تنظر حولها، فقال: «هذا مكان عملي، ويمكنك ان تري إلى اليسار مجموعة اعمالي هناك.»

شهقت وهي ترى المكان الذي كان يشير إليه، فقد كان هناك رفان من خشب السنديان قد رصت عليهما كتب بمختلف الأشكال والأحجام وفي كل لغة سمعت بها أو لم تسمع، وكلها كتب عليها (تأليف زولتان غارد).

نظرت اليه بيني ذاهلة، وفجأة شعرت بكل ذلك فوق مستوى إدراكها.

لكنها قالت بقدر ما امكنها من الرقة: «فهمت ما تعنيه، يا استاذ.»

فقال بشيء من الضيق: «لا تنظري بهذا الشكل، فقد سبق واخبرتك بأنني اقوم بالعمل الذي اجد فيه المتعة، ان لدي الكثير من الطاقة، ثم ليس هناك كثير غيري يعملون في نفس الحقل، ولهذا لدي الكثير من العمل، انه مجدر حظ، وكذلك كوني اصبحت استاذاً.»

اخذت بيني تجول بنظراتها في أنحاء الغرفة، كانت غرفة فسيحة جدرانها مرصوصة بالكتب والأوراق.

فقالت: «لا يبدو ان الأمر مجرد حظ، كما تقول.»

«انها الكتب التي تقتضيها وظيفتي، فهذا ما يعنيه ان يكون المرء استاذاً جامعياً، وعندما يصبح الشخص استاذاً يكون قد قتل المواضيع بحثاً.»

كان في حديثه تعليلاً لكل هذا اشبه ما يكون اعتذاراً، نظرت إلى وجهه الوسيم، ثم سألته: «اتراك تشعر بالحرج بالنسبة لكل هذه الكتب؟»

«لا بد انها تبدو خانقة بالنسبة لمخلوقة رقيقة رائعة مثلك.»

نظرت في عينيه غير مصدقة: «هل تمزح؟»

فنظر اليه متشككاً: «ألا ترينها خانقة؟»

قالت له بحزم: «كلا، يا اعظم عاشق بعد كازانوفا، انها ليست خانقة.»

سكت لحظة طويلة، قال بعدها: «بيني، انا احبك.»

فقالت وقد غمرتها المشاعر: «آه، يا عزيزي.»

«انه شيء لم يحدث لي قط من قبل، ولم اكن في الواقع

أؤمن بإمكان ذلك، كنت اظن ان الناس العاديين فقط هم الذين يقعون في الحب.» فانفجرت بيني ضاحكة.

فقال: «اعلم، اعلم، ولكنني كنت اظنني اعرف الكثير عن الطبيعة البشرية، والمشاعر البشرية، وأنني اعرف كل شيء عن طبيعتي ومشاعري، فقد تعلمت ان احلل كل حياتي، لكنني لم اظن ان هناك مجالاً لمثل هذه المشاعر.»

«والآن؟»

قال برزانة: «انني أريد ان اتزوج، وقد اخبرتك بذلك في السيارة، انني... اعلم انه قد يكون لديك بعض التحفظات بالنسبة للزواج مرة أخرى، ولكن ليس كل رجال العالم مثل آلين، انني واثق من انك مع الوقت...»

سكت وهو يرى بيني تستقيم جيداً وهي تسأله: «اتقول انك كنت تظن انني لن اتزوجك؟ وانني انا من لديه اعتراضات على الزواج؟»

«حسناً، نعم، فقد قلت عصر هذا اليوم.»

قالت تصحح كلامه: «بل عصر أمس.»

«لا بأس، عصر أمس، قلت انه ليس فكرة حكيمة جداً.»

«ولكن هذا لأنني كنت اظنك ستوقعني في حبك ثم تتركني... ايها الرجل الغبي.»

نظر اليها ذاهلاً: «ماذا؟»

فقالت: «هذا ما كان معروفاً عنك، كما انك انت نفسك قلت بأنك لا تحب العلاقات الدائمة، لو كنت مكاني ماذا كان تفكيرك إذن؟»

قال بعد لحظة: «معك حق، كنت سأقول ما قلته أنت.»

«كما انني أمضيت أمسية تعسة متمنية لو انني كنت اكثر

شجاعة، وإذا بي اعثر على المنديل الذي أخذته منك عندما كنت أبكي، ففكرت في أنه هو العذر الذي احتاجه، وانني سأتبعك به ولو إلى آخر الدنيا لكي أرى ما إذا كنت ستعطيني فرصة أخرى.»

نظر في عينيها بافتتان: «أحقاً فعلت هذا؟»

«نعم، كنت سأدوس على كرامتي كلياً، لأجلك، بينما انت غير مهتم مطلقاً، كما يبدو.»

«هذا غير صحيح، فأنا محظوظ اكثر مما أستحق، ولن أدعك تفلتين من يدي أبداً، انني لم اكن أدرك ذلك، انك على صواب تماماً، يا حبيبتي، فأنا رجل غبي.»

قالت بسعادة: «كلا، انك لست غبياً، بل انت رجل رائع، ولكنك فقط لاتلاحظ النساء اللواتي يغرقن في حبك، انني سأتزوجك ولكنني لن ادعك ترتكب هذه الغلطة مرة أخرى.»

تمت